www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 1 أيلول 2019

زيتون

العدد :195

مظاهرة حاشدة في مدينة سراقب طالبت بإسقاط النظام والجولاني

خرجت مساء اليوم مظاهرة حاشدة شارك فيها المئات في مدينة سراقب تطالب باحياء الثورة والعودة إلى أهدافها الأولى والتخلص مماعلق فيها من سواد.

وقال أحد المتظاهرين لزيتون هدف المظاهرة هو عودة الحراك المدني والسلمي ورفض الهزائم وطغيان بعض الفصائل على المناطق المحررة.

وأضاف ماتقوم به جبهة النصرة حاليا من التضييق على الثوار هو ما أضعف الثورة وأوصلنا إلى ما نحن فيه.

وتداولت مواقع التواصل الإجتماعي مقاطع مصورة لمظاهرة اليوم يشتم فيها المتظاهرون زعيم جبهة النصرة (الجولاني) تنادي بإسقاط النظام.

تأتي المظاهرة غداة اعلان وقف اطلاق النار الذي أعلنته روسيا من جانب واحد بعد تقدم كبير حققته قوات النظام في حملتها في ريفي حماه وإدلب والتخلي الواضح من قبل الجانب التركي عن إدلب.

أهالي إدلب يتنفسون الهدوء الحذر بعد ٤ أشهر وحشية

وسط حالة من الترقب والحذر، تنفّس الأهالي في محافظة إدلب الصعداء مع توقّف هدير الطيران الحربي الروسي-الأسدي وغيابه عن سماء إدلب، منذ ساعات الصباح الأولى رغم خرق النظام لبيان وقف إطلاق النار الذي أطلقه الروس البارحة.

الخرق جاء عبر قصف مدفعي لقوات الأسد بعد بدء سريان الهدنة التي أعلنها الروس، الساعة السادسة صباح اليوم السبت، على جرجناز والغدفة والتح والدير الشرقي، دون وقوع إصابات، ليتوقف بصورة شبه تامة عند الساعة الثامنة صباحاً.

وحتى ساعة كتابة التقرير لم يصدر عن فصائل المعارضة المسلحة أي بيان أو تعليق حول القبول أو رفض الهدنة.

يعود ذلك، بحسب مراسل "زيتون" في إدلب، لعدم ثقة الأهالي والفصائل بهدنات النظام وحليفه الروسي اللذان لا يلبثان أن يستأنفا القصف والهجوم.

ويذكر المصدر بأن عدداً من العائلات توجهت إلى قراها وبلداتها التي نزحت منها خلال اليومين الأخيرين، مستغلة توقف القصف الجوي، لتتمكن من لملمة حاجاتها قبل العودة مجدداً إلى مناطق النزوح.

وكان المدنيون في محافظة إدلب قد شهدوا أقسى وأشدّ الهجمات العسكرية منذ نحو ٤ أشهر، لم يلتزم خلالها الروس ونظام الأسد بالهدنة المعلن عنها في مؤتمر أستانا ١٣ الذي عقد مطلع شهر آب/ أغسطس الجاري.

نزوح في ريف سراقب بعد أنباء عن نية حراس الدين البدء بعمل قريب

بدء أهالي بلدات الشيخ ادريس وريان والقرى المجاورة في ريف سراقب الشرقي اليوم الأحد، بالنزوح من بلداتهم بعد انتشار أخبار تفيد بنية فصيل "حراس الدين" بفتح عمل عسكري على نقاط قوات النظام القريبة من المنطقة.

وقال مراسل زيتون في سراقب إن حالة من الخوف والهلع سادت بين الأهالي بعد انتشار أخبار عن نية فصيل حراس الدين ببدء عمل عسكري على هذا المحور، ما أدى إلى حركة نزوح من بلدات الشيخ ادريس وريان والقرى المجاورة لها، بالإضافة لنزوح عدد من أهالي مدينة سراقب.

وتأتي هذه الأخبار بعد يوم واحد من استهداف قوات التحالف الدولي منشأة تابعة لـ "تنظيم القاعدة" شمالي إدلب، بحسب إعلان القيادة المركزية الأميركية التابعة لوزارة الدفاع أمس السبت.

يعتبر وقف إطلاق النار الذي بدء سريانه أمس حاجة ملحة للأهالي بعد شهور من القصف المكثف على المناطق المحررة، لا سيما بعد تشرد ما يقارب المليون شخص منهم.

وكان مركز المصالحة الروسي في حميميم، قد أعلن عن وقف إطلاق نار جديد في محافظة إدلب اعتبارا من ٣١ آب، داعيا فصائل المعارضة للانضمام إلى وقف إطلاق النار والتخلي عن الاستفزازات والانضمام إلى عملية التسوية السلمية في المناطق الخاضعة لسيطرتهم.

حكومة الانقاذ التابعة للهيئة تحرير الشام تخفض ساعات تشغيل الأمبيرات دون مبرر

أعلنت شركة كهرباء إدلب التابعة لحكومة الإنقاذ والمسؤولة عن مشروع الأمبيرات في مدينة سراقب اليوم الأحد، عن تحديد ساعات العمل خلال شهر أيلول الحالي وتخفيض مدة تشغيل الأمبيرات بمقدار ٤٠ دقيقة وبنفس السعر السابق.

وجاء في تعميم شركة كهرباء إدلب الصادر اليوم الأحد ما يلي: تحدد ساعات العمل خلال شهر أيلول ٢٠١٩ للمولدات في مدينة سراقب من الساعة ٧ وحتى ١١,٢٠ مساء وبسعر ٣٠٠٠ ليرة سورية للأمبير.

وأثار القرار ردود فعل غاضبة من قبل الأهالي بعد تخفيض مدة التشغيل ٤٠ دقيقة بدون ذكر الأسباب.

ودعا ناشطون للتظاهر عند الساعة السابعة من مساء اليوم في مدينة سراقب، احتجاجا على قرارات حكومة الانقاذ.

كما خفضت شركة كهرباء إدلب عدد ساعات تشغيل الأمبيرات في كل من مدينة إدلب وأريحا بمقدار نصف ساعة وبنفس السعر السابق.

"تحرير الشام" تطلق القنابل والرصاص على المحتجين في أطمة وباب الهوى وسط مطالبات بإسقاطها

تداولت صفحات التواصل الاجتماعي مقطعاً مصوّراً يظهر إطلاق متظاهرين هتافات ضد "هيئة تحرير الشام"، في بلدة سرمدا المتاخمة للحدود التركية، احتجاجاً على إطلاق عناصر الهيئة القنابل الغازية والرصاص الحي ضد جموع الأهالي المعتصمين عند معبر باب الهوى الحدودي.

وهتف المحتجون بإسقاط "تحرير الشام" التي وصفها أحد المشاركين بـ "هيئة تدمير الشام" مضيفاً بأنها "أطلقت علينا القنابل والرصاص لتمنعنا من وصول المعبر".

يتزامن ذلك مع اقتحام مئات المتظاهرين معبري أطمة وباب الهوى الحدوديّين، أسفر عن تحطيم باب معبر أطمة ودخول العشرات إلى داخل الأراضي التركية قبل إيقافهم من قبل قوات الجندرمة.

وبات من المؤكد أن الأيام القادمة، في حال تحقق وقف إطلاق النار الذي أعلنه الروس مؤخراً، ستهيئ فرصة ربما تكون الأخيرة أمام أهالي إدلب، للتخلص من "هيئة تحرير الشام"، التي حرفت ثورتهم وساهمت بخسارة مدنهم وبلداتهم.

وصار من الملح انتزاع شوكة الهيئة من خاصرة إدلب بعدما صبغتها بالسواد ودفعت بالمجتمع الدولي للكف عن دعم أبنائها وإطلاق يد روسيا ونظام الأسد لتدميرها واحتلال مدنها وتهجير أهلها بحجة محاربة "النصرة" والإرهاب.

ويرى الكثير من النشطاء إن الخطوة الأولى لحماية الأهالي هي في عودة الفصائل التي تحمل أهداف الثورة الأولى والمنسجمة مع توجه أهل المحافظة الرافض لمشاريع "القاعدة" و"السلفية الجهادية"، لتعود الثورة إلى مسارها الوطني دون استعداء العالم.

تعزيزات عسكرية لقوات الأسد في ريف حلب وتخوّف من تصعيد جديد

وصلت تعزيزات عسكرية للروس وقوات الأسد إلى جبهات ريف حلب الغربي بحسب مصادر عسكرية تابعة لفصائل المعارضة في المنطقة.

وقالت المصادر بأنها رصدت تجمعات عسكرية لتلك القوات متمركزة "حول منيان وضاحية الأسد و١٠٧٠ شقة"، متوقعة استمرار تدفّق العناصر والآليات باتجاه تلك المنطقة في الأيام القادمة لفتح جبهة في المنطقة.

وتتخوف المصادر من تنفيذ مخطط روسي- أسدي وصفته بالـ "خبيث" بغية التصعيد في المنطقة، مستغلين وقف إطلاق النار في إدلب، والذي دخل حيّز التنفيذ صباح أمس السبت.

وغالباً ما تلجأ روسيا لإعلان حالات الهدنة واستغلالها في مناطق معينة لتفتح جبهات في مناطق أخرى، ويرجّح مراقبون بأن الروس ينوون رفع التصعيد في ريف حلب الغربي حال استمرار نقل الجنود والآليات إلى المنطقة.

وكان الطيران الروسي قد قصف مشفى الإيمان في بلدة أورم الكبرى، والمركز الصحي في الأتارب، ما يجعل باب الاحتمالات مفتوحاً أمام حملة جديدة تحضّر لها قوات الأسد بتمهيد روسي.

وفي السياق، شهدت بعض قرى ريف سراقب الشرقي، اليوم الأحد، نزوحاً للأهالي بعد انتشار أخبار تفيد بنيّة فصيل "حراس الدين" فتح عمل عسكري على نقاط قوات النظام القريبة من المنطقة.

وتأتي هذه الأخبار بعد يوم واحد من استهداف قوات التحالف الدولي لمنشأة تابعة لفصيل "حراس الدين" المتشدّد، شمالي إدلب.

آلاف المحتجين يتجمعون عند معبري باب الهوى وأطمة

تجمع آلاف المحتجين من السوريين عند معبري باب الهوى وأطمة على الحدود السورية التركية مطالبين بوقف الهجمة العسكرية التي تشنها قوات النظام وروسيا على ريفي إدلب وحماه.

وقالت مصادر إعلامية إن المحتجين قد تمكنوا من اختراق الحاجز الأول ووصلوا إلى الأراضي التركية في منطقة باب الهوى فيما توالى وصول أعداد أخرى إلى المنطقة وسط حالة من الغضب حول عجز المجتمع الدولي ووقوفه متفرجا على القصف الجوي العنيف عليهم.

وأكدت المصادر إن قوات الجندرمة تصدت بإطلاق الرصاص غير مباشر لتفريق الجموع، كما أطلقت القنابل المسيلة للدموع على المحتجين ما أدى لإصابة بعضهم من كثافة دخان المسيل للدموع.

كما تجمع الآلاف عند معبر أطمة في ريف إدلب واقتحموا الأراضي التركية، وسط تصدي قوات الجندرمة التركية لهم بالقنابل المسيلة للدموع.

وطالب المتظاهرون بالتدخل الفوري للمجتمع الدولي لوقف القصف والهجوم على مناطقهم، كما طالبوا بفتح الحدود في حال لم يتمكن المجتمع الدولي من وقف الهجمة مهددين بالوصول إلى أوروبا.

وكان نشطاء قد أطلقوا دعوة للتظاهر أمس عند المعابر السورية التركية في محاولة للضغط على الحكومة التركية للوقوف بشكل جدي والتمسك بمحافظة إدلب في مفاوضاتها مع الجانب الروسي.

يذكر أن عدد النازحين الذين فروا من بلداتهم نتيجة للحملة العسكرية الأخيرة قد وصل إلى ما يقارب المليون نازح جلهم باتوا يفترشون العراء دون مأوى.

وارتفعت وتيرة النزوح عقب اجتماع بوتين وأردوغان في ٢٧ من هذا الشهر والذي لم يسفر عما كان يأمله أهالي إدلب، وما أعقبه من تصعيد كبير في القصف الجوي الروسي على المحافظة ما آثار مخاوف السكان.

الروس يعتذرون لـ "الحليف" التركي وإدخال طريق اللاذقية على سيناريو نقاط المراقبة!

خاص زيتون

وجّه رئيس المركز الروسي للمصالحة في سوريا أليكسي باكين، اعتذاراً لما وصفه "الحليف التركي" عبر منشور له على صفحة القناة المركزية للجيش الروسي جاء فيه: "نفذت إحدى مقاتلاتنا الحربية ضربة جوية بالخطأ بالقرب من النقطة التركية في شير مغار غرب حماة نتيجة خطأ في إحداثيات تم تزويدها للمركز من طائرة استطلاع مسيّرة. نتقدم بالاعتذار للحليف التركي ونعتقد أن هذه الحالة لن تتكرر".

يأتي الاعتذار عقب إقلاع طائرات حربية روسية من مطار حميميم في اللاذقية، لتستهدف محيط النقطة التركية من الجهتين الشمالية والجنوبية، دون سقوط إصابات.

يقدّم "الجنرال" الروسي اعتذاره لـ "حلفائه" الأتراك بالتزامن مع سقوط عشرات الضحايا من المدنيين بين قتيل وجريح جرّاء غارات نفذتها ذات الطائرة التي استهدفت -بالخطأ- محيط نقطة مراقبة "الضامن التركي"!.

العديد من الضحايا المدنيين سقطوا اليوم في إدلب، بعد أقل من ٢٤ ساعة على لقاء أردوغان ببوتين وإعلان الأول رفضه لـ "الهجمات الجوية على المدنيين". فتم استهداف كلّ من معرة النعمان وكفرنبل وجرجناز وتلمنس ومعرشورين وسراقب والتمانعة ومعصران وغيرها في ريف إدلب، ليسقط ١٧ مدنيا بالإضافة إلى عشرات الجرحى ودمار واسع في المنازل.

أما البارحة، وأثناء استعراض الرئيسين التركي والروسي لطائرات الـ"سوخوي" الحديثة، ذات القدرة الهائلة على قتل السوريين، وخلال تناول (الآيس كريم) الروسي الممجوج مع نكهة الدم والبارود، سقط ٤ من المدنين، بينهم طفلان، في استهداف الطيران الروسي لبلدات بسقلا ومعرة حرمة وكفر سجنة وكفر عويد وحيش وسفوهن وإحسم والتح بريف إدلب، والكبينة بريف اللاذقية.

ما الذي تم الاتفاق عليه في موسكو حول إدلب

المعلومات حول ما دار في اجتماعات ما قبل المؤتمر الصحفي قليلة، والتصريحات خلال المؤتمر الصحفي سريعة وغير منسجمة ومبهمة. وبالتالي توقّع الكثيرون أن تستمر الهجمة على إدلب بصرف النظر عن تصريحات الرئيس التركي المطالبة بوقف القصف على المدنيين.

في رأيين مختلفين يتحدث محللون عن اتفاق روسي- تركي غير معلن، فبينما يرى الأول أن الاتفاق يتضمن القضاء على "جبهة النصرة" وكتائب متشددة تتبع لها مقابل انسحاب قوات الأسد من المنطقة الممتدة بين خان شيخون ومورك، وإعادة الأهالي إلى مناطقهم بالتعاون بين الجانبين، مع فتح طريق حلب- دمشق الدولي ونشر فصائل معتدلة على جانبيه بإشراف الجيش التركي، يرى الفريق الثاني أن الاتفاق عبارة عن تخلي تركيا عن إدلب مقابل المنطقة الآمنة وضمان موافقة موسكو عليها، تسمح الصفقة لقوات الأسد بالسيطرة على الطرق الدولية بصورة تدريجية، بالتزامن مع إضعاف الفصائل ومحاصرتها في بقعة محددة تمهيداً للقضاء عليها كلياً في نهاية المطاف.

ولكن بالمقابل فإن جميع الأطراف يشيرون إلى جديّة تحذير الرئيس التركي من مواصلة الحملة العسكرية التي "تسببت بموجة نزوح كبيرة على الحدود التركية ما يهدّد الأمن القومي التركي".

وفي سياقٍ غير بعيد عمّا يدور في محافظة إدلب، يبدي العديد من أطراف المعارضة، السياسية والعسكرية، تخوّفهم من ورود أنباء مؤكدة عن تسيير دوريات عسكرية تركية، اليوم الأربعاء، على طريق حلب- اللاذقية، ولأول مرّة، بغية إنشاء نقاط مراقبة جديدة، للإشراف على الطريق وضمان سلامته.

تخوف المعارضة وذعر الأهالي من الدوريات التركية على أتستراد حلب اللاذقية سببه اقتران آلية تشكيل نقاط المراقبة التركية مع وصول قوات الأسد إلى الى المنطقة، وتواجدها على الحدود الفاصلة بين سيطرة النظام والمناطق المحررة، وبالتالي فوجودها في هذه النقطة فهم منه الأهالي تغير الاتفاق وأمكانية وصول قوات النظام إلى المنطقة وهو ما يعني تهجير أهلها، وهو ما يعني لاحقاً سيطرة نظام الأسد على كبرى مدن إدلب، كمعرة النعمان وأريحا وجسر الشغور، بالإضافة لمدينة سراقب والتي تعتبر نقطة تقاطع طريقي حلب- دمشق، وحلب- اللاذقية.

لم يعد أهالي إدلب بحاجة إلى محللين يفكون أسرار اجتماع البارحة، بعد تحليق الطائرات المكثف صباح اليوم والذي وصل إلى ١٤ طائرة حربية عشرة منها روسية في سماء إدلب، ليبدأ قسم كبير منهم معركة النزوح التي قد لا تكون الأخيرة.

قيادي في تحرير الشام: عرض تركي بحل الهيئة مقابل وقف الحملة العسكرية

نشر أس الصراع في الشام وهو القيادي السابق في هيئة تحرير الشام "صالح الحموي" اليوم في حساب له على تلغرام ما قال إنه عرض تقدم به الجانب التركي لهيئة تحرير الشام يتضمن حلها وتم رفضه من قبل الجولاني.

وقال الحموي إن العرض تضمن تفكيك هيئة تحرير الشام وانضمام وتحول عناصرها إلى فصائل الجبهة الوطنية مع مهلة زمنية لتحقيق ذلك.

كما تضمن حل حكومة الإنقاذ بشكل كامل وإدخال الحكومة السورية المؤقتة التي لا تقبل الدول بتقديم دعم للمناطق المحررة إلا من خلالها.

وذكر الحموي إن من بين بنود العرض تسيير دوريات مشتركة يكون فيها جنود روس ضمن المدرعات التركية، مشيرا إلى أن هذا البند ما زال في محل تفاوض بين الجانبين، مضيفاً أن تركيا قد تقدمت بحل بديل عنه وهو نشر نقاط مراقبة تركية مع الجيش الوطني حصرا على جانبي الطرق الدولية دون أي تواجد للروس نهائيا لكن هذا البند لم يحسم بعد بحسب الحموي.

كما نص العرض على متابعة تشكيل اللجنة الدستورية بما يضمن وحدة الأراضي السورية ومنع تقسيمها وتشريع قانون انتخاب جديد يضمن عدم ترشح بشار لولاية جديدة.

واتهم الحموي زعيم هيئة تحرير الشام الجولاني برفضه للعرض كما رفض عرض سابق مثله مفضلا توسيع سيطرته على الغاب ورفض دخول الحكومة المؤقتة كما رفض حل ملف حراس الدين، نتج عن رفضه سيطرت روسيا على ٤٩ قرية وخسارة الأهالي لمحاصيل تقدر بمليار دولار فضلا عن المنازل والشهداء.

ويؤكد الحموي على أن المعلومات التي أوردها عن العرض التركي صحيحة مئة بالمئة مشيرا إلى موافقة روسيا على بنودها، وفي حال تم رفض العرض من الجولاني ستستمر روسيا بعملياتها حتى تسقط معرة النعمان وكفرنبل وأريحا وجسر الشغور.

وينهي الحموي قوله إن كانت الهيئة قادرة على صد هجوم النظام بدون وقوع شهداء في المدنيين فلترفض الاتفاق وسنخرس جميعا

مندوب أمريكا في مجلس الأمن: هذا النظام فاسد وقاتل

قال وكيل الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية مارك لوكوك في جلسة لمجلس الأمن اليوم حول سوريا، إن مدن كاملة دمرت في منطقة خفض التصعيد بسوريا، وأن ما يزيد عن مليون شخص قد تلقوا مساعدات غذائية كل شهر وأن سكان إدلب لا يتم الوصول إليهم إلا عبر الحدود لأن الوصول إليهم من داخل البلاد يواجه عوائق.

وأضاف لوكوك أن لا ذريعة لتدمير مناطق المدنيين كما يحصل في إدلب، مؤكدا أن أي اجراءات تتخذ يجب أن تضمن سلامة المدنيين بما في ذلك حمايتهم من العنف والتشريد القسري.

من جهته قال غير بيدرسن المبعوث الدولي إلى سوريا إن نطاق العنف وانعدام الأمان في سوريا مقلق للغاية، مشيرا إلى تزايد عدد القتلى والمشردين والآلاف من المفقودين.

وأضاف بيدرسن إن هجوما حكوميا استطاع استعادة مناطق واسعة من مناطق خفض التصعيد، والقصف يتواصل بالهاون والقذائف، مؤكدا أن لا أحد يدعي بوجود حل بسيط للتحديات التي تشكلها المجموعات الإرهابية (هيئة تحرير الشام وحراس الدين)، ولكن مكافحة الإرهاب يمكن أن تهدد حياة ثلاثة ملايين إنسان وأن ما يهدد حياتهم وقتلهم يجب أن يتوقف.

وأردف بيدرسن أن الحل في إدلب بحاجة إلى حل سياسي بالمقام الأول ويجب التحرك سريعا لتفادي سوء الأوضاع شمال سوريا.

وتحدث بيدرسن حول اتفاق تم التوصل إليه يتضمن وجود رئيسين مشتركين يعين أحدهما الحكومة والأخر المعارضة.

مندوب الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن قال إن الهجمات على المدنيين في إدلب تجعلنا من المستحيل أن نصدق أن نظام الأسد وروسيا صادقان عندما يقولان أنهما لا يحاولان الوصول إلى حل عسكري، نحن نعترض على الهجمة الشرسة التي يشنها نظام الأسد وحلفائه بحجة مكافحة الإرهاب.

وأضاف المندوب الأمريكي إن ما نشهده في إدلب ليس مكافحة للإرهاب بل حجة في الاستمرار بحملة عسكرية عنيفة ضد من يرفض القبول باستمرار حكم نظام الأسد.

وأكد المندوب الأمريكي على النداء الذي صدر عن الولايات المتحدة ومجلس الأمن في أخر اجتماع والذي طالب نظام الأسد بإطلاق سراح ملايين المعتقلين، وحتى ذلك الحين سنستمر بالضغط على كل القنوات المناسبة لإبعاد هذا النظام الفاسد والقاتل وحلفائه عن الساحة الدولية.

أطفال إدلب: التأرجح بين الموت والضياع

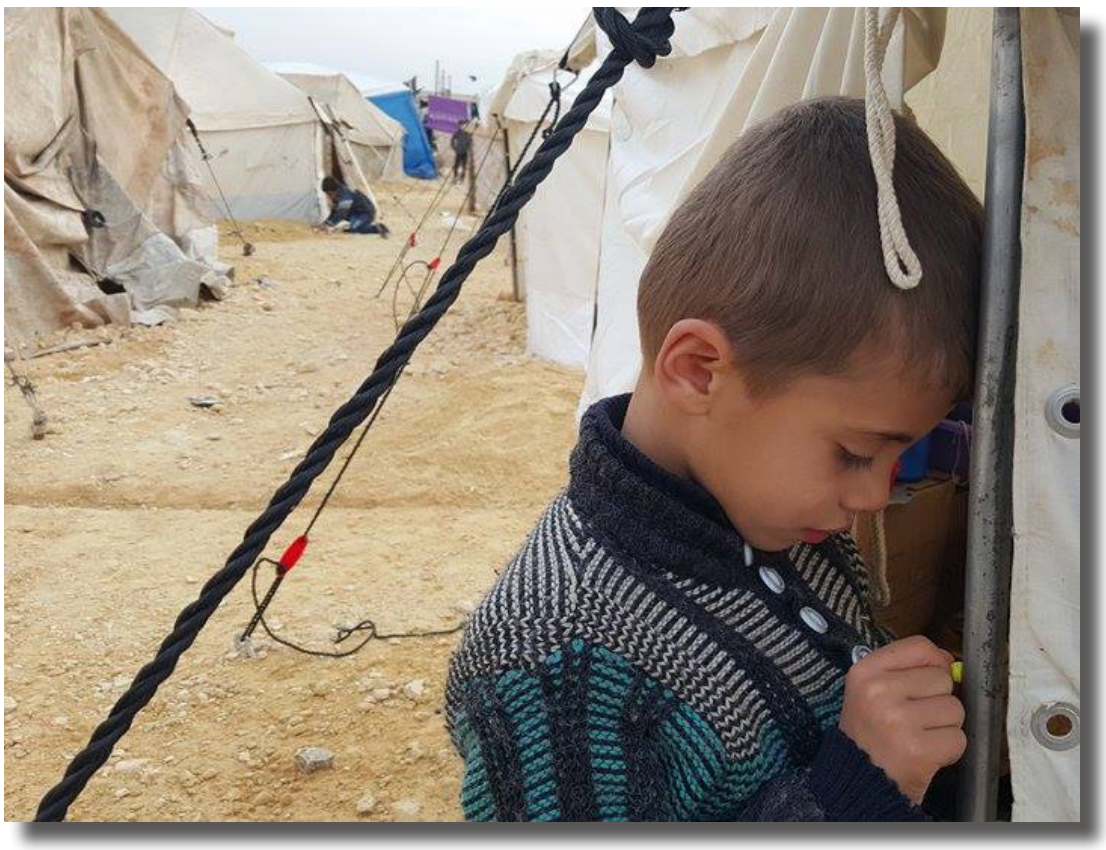

أثارت صورة الطفلة "ريهام" ذات الخمس سنوات وهي تمسك بثياب شقيقتها "تقى" ابنة الشهور السبعة، بين الركام وتحت صرخات أبيهما العاجز عن إنقاذهما، مشاعر يعجز عنها التعبير وتحتار في وصفها الكلمات.

فالصورة الملتقطة عقب قصف طيران الأسد على مدينة أريحا في السادس والعشرين من تموز الفائت، تلخّص بوضوح حالة الأطفال وما يتهددهم من مصير مؤلم داخل محافظة إدلب. و"ربما يكون الموت هو المصير الأرحم بين بقية الحالات" حسب وصف أحد المقيمين داخل المدينة.

أحمد طلب

نزوح بين موتين

سبّبت الحملة العسكرية الأخيرة بنزوح نحو ٨٥٠ ألف مدني باتجاه مدن وبلدات الشمال الادلبي القريبة من الحدود التركية. وتشير منظمات حقوقية وإغاثية إلى وجود ما يقرب من عشرة آلاف أسرة تقطن داخل خيام وبيوت مهترئة خالية من أبسط متطلبات الحياة.

وتفتقر معظم المنظمات الحقوقية الأهلية والأممية لإحصاء دقيق في عدد ضحايا الأطفال خلال الهجمة الأخيرة على مناطق خفض التصعيد، منذ نيسان الماضي، وكانت الشبكة السورية لحقوق الإنسان قد قدّمت آخر إحصاء لضحايا القصف من الأطفال في تموز الماضي، وبلغ عددهم ١٣٨ طفلاً.

ورغم تصاعد حدة الهجمات وارتفاع وتيرة القصف والتدمير في شهر آب الجاري، تمكنت "زيتون" من إحصاء سقوط ٣١ طفلاً في هذا الشهر، اثنان منهم كانا أجنّة في أرحام أمهاتهم حين استهدفهن القصف، ليصبح العدد ١٦٩ طفلاً.

مهددون بالجهل

يتصدر التعليم قائمة التحديات التي تواجه الطفل السوري الذي كُتب له العيش في ظروف الحرب المستعرة، ما له من أهمية لمستقبل الأطفال والمجتمع.

ويقدّر عدد النازحين من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عام واحد إلى ١٧ عاماً، خلال الهجمة الأخيرة، بنحو ٢٣٢ ألف طفل، بينهم ١٨٣ ألفاً ممن هم في سن التعليم وغالبيتهم خارج مقاعد الدراسة، لأسباب ترتبط جميعها بالاستهداف المباشر والممنهج من قبل قوات الأسد وحليفها الروسي لمدنهم وللمدارس بشكل رئيسي أثناء قصفهم للبنى التحتية.

واستهداف المدارس في إدلب وريفها ليس حديث العهد ولم يرتبط بالهجمة الوحشية الأخيرة فقط، بل امتد على مدار سنوات الثورة السورية، وانتشر في مختلف المحافظات بالتزامن مع خروج المناطق عن سيطرة قوات الأسد.

وخلّفت قذائف المدفعيات والغارات الجوية دماراً طال أكثر من ٤٥٪ من المدارس والمباني التعليمية داخل سوريا، بالإضافة إلى سقوط ضحايا يقدّر عددهم بـ ٢١ ألف طفل في سنّ الدراسة، و١٤٠٠ معلّم مجاز.

ونتيجة حملات التهجير والترحيل إلى إدلب، من مناطق المصالحات في الداخل السوري، بالإضافة إلى نزوح العديد من عائلات المنطقة الشرقية إليها، جعلت المحافظة تضمّ الخزان البشري الأكبر من المدنيين، إذ تجاوز عددهم ٣,٧٣ مليون شخص، بينهم نحو مليون طفل في سنّ التعليم.

الحملة الأخيرة.. إحصاءات تشير إلى كوارث

تتحدث منظمة التعليم والطفولة في الأمم المتحدة "اليونسيف" عن وجود أكثر من ٢٣٠ ألف طفل خارج مقاعد الدراسة بصورة كاملة في عموم المحافظة، أما العدد الباقي، والمقدر بنحو ٧٥٥ ألفاً، فنصفهم يتلقى تعليماً بدائياً وغير ممنهج، بدون أدوات ومناهج تعليمية، كالكتب والقرطاسية، وبإشراف معلمين متطوعين غالبيتهم لا يحملون شهادات أكاديمية، في وقت تفتقر فيه مديرية التربية الحرة لإحصاء دقيق لعدد الطلاب، نتيجة النزوح والتهجير المستمر.

ويشكل فقدان القيود معضلة كبيرة بالإضافة إلى الأعداد المرتفعة من حالات التسرّب المدرسي، التي تشكل أكثر من نصف أعداد الأطفال، والسبب الرئيسي يعود إلى سوء الأوضاع المادية، ما يجعل جزءاً كبيراً من التلاميذ يتوجّهون إلى العمل بهدف مساعدة عائلاتهم.

ومنذ بداية العام الحالي راحت المنظمات الداعمة للتعليم تنسحب شيئاً فشيئاً عن مناطق إدلب مخفضة دعمها، بسبب تبعيّة مديرية التربية الحرة لـ "حكومة الإنقاذ" التابعة لـ"هيئة تحرير الشام"، ما أدّى في كثير من الأحيان إلى توقف بعض الكوادر التدريسية عن العمل.

ويبدو أن مستقبل آلاف الأطفال السوريين الدراسي في إدلب مهدداً بالضياع، مع استمرار قوات النظام وحليفها الروسي في الهجوم على إدلب وريفها، ليبقى مصير أطفالها مرهونا باتفاق "الضامنين" التركي والروسي بصورة أو بأخرى. فالمجتمع الدولي غير مكترث بواقع الأطفال السوريين ولا بمستقبلهم ولا حتى بمصيرهم.

تسريبات حول المنطقة الآمنة

بعد التوصل إلى اتفاق تركي أمريكي سابق بشأن المنطقة الآمنة التي تصر تركيا على إنشائها والذي يفضي إلى إيجاد منطقة خالية من القوات الكردية، بقي الاتفاق غامض البنود.

ونشرت وسائل إعلامية على رأسها وكالة بلومبرغ الأمريكية تسريبات حول المنطقة الآمنة التي تم التوصل إلى اتفاق بشأنها بين الطرفين التركي والأمريكي.

وقالت الوكالة إن المنطقة ستكون بطول ١٢٥ كيلومتر وبعرض ١٥ كيلومتر في المرحلة الأولى، وتمتد من مدينة رأس العين غربا إلى مدينة تل أبيض شرقا، مع سحب الأسلحة الثقيلة لمسافة عشرين كيلومترا وانسحاب القوات الكردية منها.

كما سيتم تحليق جوي ودوريات أرضية مشتركة (أمريكية-تركية)، تتبعها إقامة قواعد عسكرية تركية مع اشتراط عدم دخول الجيش الوطني إليها، أو إدخال سوريين من مناطق أخرى إلى المنطقة.

قبيل تشكيل المنطقة الآمنة: قوات النخبة تعلن انفصالها عن الجربا

أصدرت "قوات النخبة السورية" أمس الثلاثاء، بياناً قالت فيه بأنها لم تعد تتبع لتيار الغد السوري ورئيسه أحمد الجربا، وبأن الأخير لا يمثّل قوات النخبة سياسياً ولا يحق له التحدث باسمها أو التفاوض عنها.

وأكد البيان بأن القوات ليس لها أية علاقة بتوجهات وأهداف التيار، وإن قرار الانسحاب "جاء بناء على التشاور والاتفاق مع عناصر قوات النخبة السورية أفراداً وقيادات".

وأضاف البيان الذي نشرته القوات على صفحات التواصل الاجتماعي بأن قوات النخبة السورية ترحّب "بالانفتاح على جميع الجهات، وجميع الخيارات، وجميع المشاريع التي تحقق لشعبنا السوري، ولأهلنا في الجزيرة والفرات، تطلعاتهم في الحرية والكرامة والديمقراطية".

وكانت قوات النخبة تشكّل الجناح العسكري لتيار الغد فيما مضى؛ يقودها مهيدي الجعيلة "أبو صالح"، وشاركت قوات سوريا الديموقراطية "قسد" في عملياتها العسكرية كالسيطرة على مدينة الرقة وريفها والريف الشرقي لدير الزور، وتتلقى دعمها من قوات التحالف الدولي.

ولم يذكر البيان الأسباب الحقيقية للانسحاب، ويرجَّح أن يكون قد تم بأوامر أمريكية بعد التوصّل مع الأتراك على تشكيل المنطقة الأمنة في شرقي الفرات، ما يراه متابعون بأنها خطوة لتسليم قوات النخبة مهمة حماية المنطقة الآمنة كونها مشكّلة من غالبية أبناء العشائر.

في سوق المنطقة الآمنة أين هي إدلب بعد اجتماع بوتين وأردوغان

عدنان صايغ

بعد ترقب دام أيام ثقيلة عاشها مدنيو إدلب في حالة من التوتر متوجسين من سرعة تقدم قوات النظام على الأرض، انتهى اجتماع بوتين-أردوغان دون أن يفهم منه أهالي إدلب شيئا.

وبينما كان يأمل الأهالي أن يتمر التوصل في نهاية اللقاء إلى الاعلان عن خطوات أكثر وضوحا من شأنها أن تضمن حياة المدنيين أو أن تخفف من حدة القصف الجوي، جاء المؤتمر الصحفي غامضا ويحمل الكثير من التأويلات في تصريحات الرئيسين.

ولعل أبرز ما قيل وأغربه هو رؤية الرئيس الروسي وموافقته حول مشروع المنطقة الآمنة التي تصر تركيا على إقامتها بالتشاور مع الجانب الأمريكي، موضحا في حديثه اتفاقه مع أردوغان حول "إطار لتدابير إضافية من أجل القضاء على الإرهاب واتخاذ الإجراءات اللازمة من أجل إزالة بؤر المسلحين في إدلب".

من جانبه افتقد المتابعون لحديث الرئيس التركي بلاغته المعهودة في ما يريد قوله، وجاء خطابه مبهما مكتفيا بالقلق حول مصير المدنيين والإشارة إلى مقتل 500 مدني منهم، ويمكن أن يتم فهم بعض هذا الغموض بالرجوع إلى اهتمام أنقرة بمعرفة الدور الروسي من استهداف رتلها في سوريا إن كان اهمالا أم مقصودا، كما يمكن أن يفهم من خلال وصول الدفعة الثانية من صواريخ أس400 اليوم بالتزامن مع انعقاد اجتماع الرئيسين، إضافة إلى ما قامت به قسد من انسحاب اليوم من قطاع يمتد لمسافة بين 5 و14 كيلومترا على الحدود التركية السورية.

وتقدم بعض القراءات سيناريوهات من المرجح أن يكون قد تمر التفاهم حولها ويخشى على السوريين من جرائها، منها موافقة روسيا على المنطقة الأمنة مقابل إطلاق يدها في إدلب، وتخلي أردوغان عن مناطق في الجنوب والعمق الإدلبي مقابل مناطق محاذية لشريطه الحدودي المزمع إقامة منطقته العازلة فيه، ليس هذا فقط ما يخشى منه، بل هو أن تكون المنطقة الآمنة هي مأوى للملايين الذين سيفرون من مناطقهم باتجاه الحدود التركية في حال واصل النظام تقدمه، كما يمكن أن تقدم المنطقة الأمنة مكانا بديلا لقسم كبير من اللاجئين السوريين في تركيا، لا سيما في ظل حملة التضييق التي باتت الحكومة التركية تنتهجها في سياستها اتجاه السوريين في اسطنبول.

هذا السيناريو قد يناسب الجميع ما عدا الشعب السوري، فمن جهة الجانب التركي يكون قد حصل على تحقيق أولويته في ضرب المشروع الكردي، فيما تحقق روسيا انتصارها في الحصول على أغلب مناطق إدلب وكذلك النظام السوري، فيما يوفي ترامب ببعض وعوده في سحب قواته من بعض المناطق ومنها سوريا.

وفي ذات السياق تأتي عمليات الفصائل المعارضة اليوم ضمن أجندات تركيا لتحسين شروط تفاوض أردوغان مع الجانب الروسي، ومن المفارقة انتشاء هذه الفصائل بهجوم مباغت على قرية صغيرة وأسر بعض العناصر لقوات النظام والانسحاب السريع من المناطق التي دخلوها، بينما ما يزال السوريين تحت صدمة خسارة مناطق شاسعة من ريفهم الجنوبي.

لعبة التوازنات التي تنتهجها أنقرة في إبقاء الخيط بين الندين الروسي والأمريكي والعمل على إبقاء تعاملها لتأمين أكبر قدر من مصالحها، لم تعد في صالح السوريين اليوم، بعد أن أكتشف الروس عجز الأتراك عن الذهاب بعيدا في ملف إدلب والمغامرة في مشروع المنطقة الآمنة.

ويرى البعض أن تركيا لم تكن جادة في تطبيق مخرجات أستانة وسوتشي، التي كان من أهم بنودهما هو العمل على إزالة جبهة النصرة وتمييز فصائل الجيش الحر عنها وتسيير دوريات مشتركة مع الجانب الروسي فيما لا نزال نرى تغول جبهة النصرة على المدنيين والثوار في إدلب.

ينتهي اجتماع الرئيسين بتناول البوظة فيما ينام أهالي إدلب على خوف أكبر مما صحو عليه في غياب جهة تدافع عن مصالحهم بصدق، وفي استمرار قصف الطيران لبلداتهم، ليستمروا في مراقبة الأيام القادمة ليستبينوا ما تم الاتفاق عليه دون الإعلان عنه.

فتح معبر صوران.. تزييف الحقائق واستخفاف بعقول السوريين

تحرير زيتون

اتهم فريق منسقو استجابة سوريا في بيان له يوم الجمعة الماضي، وسائل الإعلام الروسية ونظيرتها التابعة لقوات النظام بتزييف الحقائق وذلك من خلال قرارها بفتح معبر آمن وإنساني في صوران – مورك بريف حماه الشمالي.

ونفى منسقو الاستجابة بشكل قاطع خروج أي مدني من المعبر من أهالي مناطق ريف حماه الشمالي والقرى والبلدات التي سقطت بيد قوات النظام مثل خان شيخون ومورك واللطامنة وكفرزيتا ولطمين والصياد ولحايا وبعض القرى الأخرى.

وأكد الفريق أن خروج أخر دفعة من المدنيين في تلك القرى المذكورة كانت بتاريخ ٥ أب الماضي، برفقة عناصر من فريق منسقو استجابة سوريا إلى مناطق الشمال الحدودية مع تركيا، وذلك بسبب مخاوفهم من تعرض المنطقة للحصار وعمليات تصفية جماعية في حال اقتحمت قوات النظام مناطقهم وما يستتبع ذلك من عمليات انتقامية.

ويرى الكثير من الأهالي الذين فضلوا النزوح إلى البراري والبساتين على اجتياز المعبر، أن لا ثقة فيما يدعيه النظام وروسيا من حرصهم على حياة الأهالي، وأن هذه الادعاءات ما هي إلا لتجميل صورتهم إعلاميا أمام المجتمع الدولي، في الوقت الذي يقومون به بقتل الناس على مدار الساعة وقصفهم بطائراتهم الحربية، ففتح معبر آمن لمنطقة فارغة من السكان هي استخفاف بعقول السوريين أولا واستغفالا للمجتمع الدولي ثانيا، فالمنطقة التي قام بمحاصرتها ومن ثم السيطرة عليها كانت خالية من السكان الذين فروا من كثافة القصف قبل دخول النظام إليها.

يسخر النازح من ريف إدلب الجنوبي عمر الأحمد من افتتاح المعبر ويصفه بالفخ لكل من يعبره، مشيرا إلى التجارب السيئة التي عاشها أهالي ريف دمشق ودرعا في بقائهم تحت سيطرة النظام وما عانوه من اعتقال وتصفيات وزج في صفوف قوات النظام على الخطوط الأمامية بهدف التخلص منهم.

للمزيد حول مصير الأهالي الذي أجرو مصالحات وتسويات مع قوات النظام

ويضف الأحمد إن غاية الطرف الروسي من فتح المعبر هو لتحقيق مكاسب سياسية تغطي على عملياته الإجرامية في قصف المدن والبلدات أمام المجتمع الدولي.

وكانت وكالة سانا الرسمية التابعة للنظام السوري قد نقلت عن مصدر في وزارة الخارجية يوم الخميس، إعلانه عن فتح معبر إنساني في منطقة صوران بريف حماه الشمالي.

ومع ارتفاع وتيرة القصف الهستيري على قرى وبلدات ريفي إدلب وحماة، لا يجد الأهالي خيارا سوى الهروب إلى مناطق أكثر أمنا وأقل توفرا لمقومات الحياة في حقول الزيتون والبراري، مؤثرين ذلك على وقوعهم أسرى بيد قوات النظام التي تتوعدهم بالقتل والحرق عبر مقاتليها ومواليها، وتعطي منشورات بعض الموالين صورة عن حجم الحقد والضغينة التي يكنها مناصروا النظام لأهالي إدلب، منهم حيدرة بهجت سليمان أبن اللواء المخابراتي "بهجت سليمان".

العمليات العسكرية التي تشنها قوات النظام وروسيا على مناطق شمال غربي سوريا تنتهك القوانين الدولية وأحكام اتفاقيات جنيف الأربع الخاصة بالنزاعات المسلحة الدولية التي تؤكد على وجوب تجنيب المدنيين لأي خطر.

ورغم وجود بعض الموالين لنظام الأسد بين الأهالي الذين نزحوا في موجة النزوح الأخيرة، إلى أنهم يدركون جيدا ما ينتظرهم في حال فكروا بالعودة إلى مناطق النظام من خلال المعبر المزعوم.

مجموعة من التخوفات يعاني منها الأهالي وتجبرهم على الهروب من سيطرة النظام منها التجنيد الإجباري أو طلب الاحتياط في حال وقعوا في قبضة قوات النظام، وخصوصا في سياسته بزجهم على الخطوط الأولى للمواجهات مع أهاليهم كطريقة للتخلص منهم، وتجاهل النظام للقوانين المتعلقة بالعمر في سحب الاحتياط وخصوصا لأهالي المناطق الشمالية من سوريا وزجهم في الخطوط الأولى على الجبهات.

فقدان الكثير من الأهالي لأوراقهم الثبوتية ما يعرضهم لخطر الاعتقال، فضلا عن أن معبر صوران قد تم افتتاحه في منطقة عمليات عسكرية وقصف يصعب على المدنيين الوصول إليها، كما يخشى الكثيرين من تكاليف الحياة التي ستزيد عليهم في مناطق سيطرة النظام من إيجار منازل وغيرها.

وزادت السمعة السيئة لمراكز الإيواء التي أقامها النظام عقب سيطرته على مدن الغوطة الشرقية وريف دمشق ودرعا وما تسرب من قصص حدثت فيها، من ابتعاد الناس عن المغامرة في تصديق وعوده، فيما يخشى البعض نظرة الأهالي لمن غادر من المعابر على أنه خائن للثورة وأهله في المناطق المحررة.

ورغم ما يعانيه سكان المناطق المحررة من قمع وتضييق جبهة النصرة على حياتهم ليزيدوا بذلك طينة واقع القصف بلاً، إلا أنهم يفضلون العيش فيها على الإقامة في مناطق النظام، تأتي نظرتهم من ثقتهم بأن مشروع جبهة النصرة مشروع زائل وسطحي ومؤقت، لا يملك أي أسباب للبقاء، وأن التوصل إلى أي تسوية سياسية دولية بشأن سوريا ستكون كفيلة بزوال التنظيم وذوبانه في يوم وليلة.

كما يؤكد الكثير منهم أن استمرار النصرة في السيطرة على المناطق يأتي ضمن رغبة بعض الأطراف الدولية في استمرارها لاستخدامها كورقة مفاوضات وتحصيل مكاسب سياسية، وهو ما ثبت خلال فترة تمدد النصرة على حساب أكبر فصيل معارض وهو حركة أحرار الشام دون أن يتدخل الطرف التركي في المعركة مكتفيا بالمراقبة.

فيما يهدد نظام الأسد سوريا بحكمها إلى الأبد في حال تمكن من السيطرة المطلقة على كامل سوريا، وعودة مؤسساته الأمنية، وبشكل أكثر فجاجة وقسوة عما كان قبل انطلاق الثورة، كل هذه الأسباب تدفع الناس للتوجه نحو مناطق خالية من مقومات العيش على التوجه إلى مدن سوريا القابعة تحت سيطرة الأسد.

مسؤولية تحرير الشام عن الهزائم الأخيرة

حري بالجميع الوقوف بعد سقوط قلاع المناطق المحررة في ريفي حماه وإدلب، لتلمس الأسباب التي تسببت بالانكسارات المتتالية للثورة والتي تكاد تودي بها، ومن أهم تلك الأسباب وأبرزها وجود الجماعات المتطرفة والمتشددة التي شوهت حقيقة ما أراد السوريون من ثورتهم، وعبر تتبع نهج جبهة النصرة منذ عام ٢٠١١ وحتى اليوم سيبدو أن ما وصلت إليه المناطق التي سيطرت عليها هي نتائج منطقية.

تحرير زيتون

تشكلت جبهة النصرة وهي الجناح لتنظيم القاعدة في سوريا في أواخر ٢٠١١ وتصاعدت قوتها لتصبح خلال أشهر من أبرز الفصائل المسلحة المعارضة، ودعت في بيانها الأول في كانون الثاني ٢٠١٢ "للجهاد" في وجه النظام السوري.

تأسست الجبهة على يد الجولاني وستة من المعتقلين الذين أفرج عنهم من سجن صيدنايا في حزيران ٢٠١١، منهم السوريان صالح الحموي وأنس خطاب، والعراقي أبو ماريا القحطاني، وكل من مصطفى عبد اللطيف بن صالح ويُكنّى بأبو أنس، والأردني أبو جليبيب، لتتصاعد قوتها في نهاية ٢٠١٢ بعد ضمّها عدة مجموعات عرفت بانضباط عناصرها وفعاليتهم، مستفيدة من خبرات عناصر القاعدة القتالية.

تصفية فصائل الجيش الحر

في أواخر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٤ بدأت جبهة النصرة في مهاجمة عناصر الجيش السوري الحر وباقي الجماعات الإسلامية المُعتدلة بما في ذلك تلكَ التي تحالفت معها في وقتٍ سابق، مدفوعة برغبة الاستفراد بالسلطة في الشمال وإنشاء دولة إسلامية لكنّ قوبل ذلك المشروع بالرفض من أغلب القوى الموجودة ومنها الجيش الحر.

وتقول بعض المعلومات أن عدد مُقاتلي الجبهة عام ٢٠١٢ قد بلغ ما بين ٦٠٠٠ حتى ١٠٠٠٠ مقاتل، صنفتها الولايات المتحدة كمنظمة إرهابية واصفة إياها بالامتداد لتنظيم القاعدة في العراق، وكان السفير الأمريكي في سوريا روبرت فورد قد حذر من هذه الجماعة بقوله "الجماعات المتطرفة مثل جبهة النصرة هي مشكلة تقفُ عائقًا أمام إيجاد حل سياسي في سوريا".

في تموز ٢٠١٦ بدل زعيم النصرة الجولاني اسم تنظيم النصرة في بلاد الشام والعراق إلى جبهة فتح الشام، لتتحول فيما بعد إلى هيئة تحرير الشام في ٢٨ كانون الثاني ٢٠١٧، في مسعى منه للتخلص من صفة التنظيم الإرهابي.

جبهة ثوار سوريا

هاجمت جبهة النصرة جبهة ثوار سوريا أكبر فصائل الجيش الحر والمقربة من الدول الغربية وأنهت وجودها في محافظة إدلب في تشرين الأول من عام ٢٠١٤.

وكانت جبهة ثوار سوريا قد تشكلت من توحد ١٥ فصيل في نهاية عام ٢٠١٣ تحت قيادة جمال معروف، ولم يمض عام على تشكيلها حتى بدأت جبهة النصرة بالاعتداء عليها وسيطرت على مراكزها في جبل الزاوية بالاشتراك مع جند الأقصى.

حركة حزم

بدأت جبهة النصرة اعتداءاتها على مقرات حركة "حزم" في ريف حلب الغربي في نهاية عام ٢٠١٤، لا سيما في مدينة الأتارب معقل الحركة الأبرز، وتصنف حركة حزم من بين الفصائل المعتدلة لدى الولايات المتحدة وتلقت الدعم العسكري والصواريخ المضادة للدروع (التاو) التي كان لها تأثيرا واضحا في المعارك ضد النظام السوري.

سيطرة النصرة على مقرات حركة حزم في ريف حلب الغربي دفع بالرئيس الأمريكي باراك اوباما لإعادة النظر في تسليح الفصائل المعتدلة خشية استيلاء جبهة النصرة على أسلحتها، وهو ما أضعف مقاومة المناطق المحررة وصبغ المنطقة بسواد التشدد.

وفي شباط من عام ٢٠١٥ تمكنت النصرة من السيطرة على الفوج ٤٦ وريف المهندسين ومقار الحركة في ريف حلب بحجة تلقي السلاح من الولايات المتحدة، لتعلن الحركة بعد ذلك حل نفسها واندماج عناصرها في فصيلي جيش المجاهدين والجبهة الشامية.

الفرقة 13

تشكلت الفرقة ١٣ عام ٢٠١٣ من توحد ١٣ فصيلا تابعا لهيئة أركان الجيش الحر، ومنذ عام ٢٠١٦ بدأت جبهة النصرة مهاجمة الفرقة في مدينة معرة النعمان معقلها الرئيسي، وقامت بالاستيلاء على كميات من الأسلحة والذخيرة والأليات، لتبدأ بعد ذلك سلسلة من الاعتداءات على الفرقة التي وقف أهالي معرة النعمان إلى جانبها، واستمروا بالتظاهر ضد جبهة النصرة وشهدت المظاهرات في كثير من الأحيان صدامات فيما بينهم، كما استمرت تلك المظاهرات لفترة طويلة.

وفي شهر تموز من نفس العام طالبت الفرقة جبهة النصرة بإعادة السلاح الذي سلبته والنزول لتطبيق شرع الله والامتثال إلى محكمة شرعية لكن لم تستجب جبهة النصرة.

وفي منتصف حزيران من عام ٢٠١٨ هاجمت جبهة النصرة بمشاركة جند الأقصى مدينة معرة النعمان موجهة أسلحتها نحو المتظاهرين الذين خرجوا لصدها عن المدينة، لترتكب جريمة اعدام القيادي في الجيش الحر تيسير السماحي بعد اعتقاله.

تم بعدها الاتفاق بين جبهة النصرة وجيش إدلب الحر على حل الفرقة ١٣ وضمان جيش إدلب الحر تسليم المطلوبين إلى القضاء وتسلم جميع مقار الفرقة.

الفرقة 13

تشكلت الفرقة ١٣ عام ٢٠١٣ من توحد ١٣ فصيلا تابعا لهيئة أركان الجيش الحر، ومنذ عام ٢٠١٦ بدأت جبهة النصرة مهاجمة الفرقة في مدينة معرة النعمان معقلها الرئيسي، وقامت بالاستيلاء على كميات من الأسلحة والذخيرة والأليات، لتبدأ بعد ذلك سلسلة من الاعتداءات على الفرقة التي وقف أهالي معرة النعمان إلى جانبها، واستمروا بالتظاهر ضد جبهة النصرة وشهدت المظاهرات في كثير من الأحيان صدامات فيما بينهم، كما استمرت تلك المظاهرات لفترة طويلة.

تجمع فاستقم كما أمرت

بعد تمكن قوات النظام من حصار الجيب الشرقي من مدينة حلب وعجز جبهة النصرة عن كسر الحصار في تموز ٢٠١٦، هاجمت جبهة النصرة بمساندة فصيل أبو عمارة وحركة نور الدين الزنكي مقرات تجمع "فاستقم كما أمرت"، ولم يكن أمام التجمع سوى انضمامه إلى حركة أحرار الشام.

جيش المجاهدين

بعد تشكيل وفد من فصائل المعارضة للمشاركة في اجتماعات استانا ١ عام ٢٠١٧، هاجمت جبهة النصرة مقر جيش المجاهدين في ريف حلب، ثم ما لبثت أن وسعت رقعة الهجوم لتشمل ألوية صقور الشام وتجمع فاستقم كما أمرت وجيش الإسلام في إدلب والجبهة الشامية، لتلجأ جميع هذه الفصائل للانضمام إلى حركة أحرار الشام طلبا للحماية.

حركة نور الدين الزنكي

هاجمت النصرة فصيل حركة نور الدين الزنكي في تشرين الثاني عام ٢٠١٧، وكانت التوترات قد بدأت بينهما بعد خروج حركة نور الدين الزنكي من هيئة تحرير الشام على خلفية اعتزالها قتال حركة أحرار الشام في المعارك التي شنتها النصرة على حركة أحرار الشام في شهر تموز ٢٠١٧.

حركة أحرار الشام

في كانون الثاني ٢٠١٧ نقلت بعضُ وكالات الأنباء تقاريرَ تُفيد بأنّ هيئة تحرير الشام تحضر قواتها من أجلِ الاشتباك معَ حركة أحرار الشام في معبر باب الهوى الحدودي وباقي المناطق المجاورة.

وفي ٢٠ تموز ٢٠١٧؛ أعلنت حركة نور الدين الزنكي انسحابها من هيئة تحرير الشام وسط اندلاع اشتباكات بين الهيئة وحركة أحرار الشام، بعدَ ذلك بثلاثة أيام فقط، طردت الهيئة بقايا عناصر حركة أحرار الشام من إدلب واستولوا على المدينة بأكملها.

وسلكت مدن وبلدات المحافظة أسلوب تحييد نفسها عن الاقتتال لحماية أهلها بشكل يوحي بالحياد في وقت ظهر التعاطف بشكل جلي مع حركة أحرار الشام ووقوف الناس ضد هيئة تحرير الشام بشكل مستتر خوفا من انتقام عناصرها، وهو ما تكرر طوال العام الذي شهد عدة اشتباكات عنيفة وصلت إلى استعمال السلاح الثقيل بين أكبر فصيلين من فصائل المعارضة.

كما تبعتها مجموعة من المجالس المحلية في إعلان استقلاليتها عن أي فصيل في خطوة فهمت على النأي بنفسها عن أي اصطفاف فصائلي قد يعرضها لتوقف تمويل مشاريعها من قبل المنظمات الدولية، التي حرصت على عدم التعامل مع أي جهة لها علاقة بتنظيم القاعدة في سوريا وعلى رأسها هيئة تحرير الشام.

لم تدم حالة عدم الوضوح في موقف هيئة تحرير الشام من حركة أحرار الشام حتى ألحقتها بباقي الفصائل المفككة بعد أن تمكنت من طرد الحركة من معظم محافظة إدلب لتتراجع الحركة إلى جيوب صغيرة في ريف حماة الشمالي الغربي.

وحملت القيادة العامة لحركة أحرار الشام الإسلامية في بيان صدر في كانون الثاني لعام ٢٠١٨، مسؤولية ما يجري من تقدم لقوات النظام على قرى وبلدات ريف حماه الشمالي وريف إدلب الجنوبي لهيئة تحرير الشام موضحة في بيان لها: "أن تفكيك الفصائل والاستحواذ على مقراتها وسلاحها ومستودعاتها من قبل هيئة تحرير الشام ساهم بشكل جلي وواضح في ما آلت إليه الأمور حيث أثر ذلك على فاعليتها وقدرتها على القيام بواجباتها".

ألوية الأنصار

في تشرين الثاني من عام ٢٠١٤ وبعد الانتهاء من سيطرتها على جبل الزاوية توجهت جبهة النصرة بمساعدة جند الأقصى لقتال ألوية الأنصار أحد فصائل غرفة الموك التي تتلقى دعما من قبل الولايات المتحدة وتمكن الفصيلان من السيطرة على مقار الألوية في ريفي حماه الشمالي والشمالي الغربي بشكل نهائي.

وكان عددا من الفصائل قد عقدوا اتفاقا مع الجبهة يفضي إلى تحييد تلك الفصائل منها جبهة حق المقاتلة وكتيبة عبد الرحمن الطويل وتجمع صقور الغاب وألوية الأنصار، لكن بعد انتهائها من القضاء على جبهة ثوار سوريا تفرغت لقتالهم مع جند الأقصى وتمكنت من السيطرة على مقرات جبهة حق في ريف المعرة.

منح النظام السوري وروسيا شماعة للتبرير القصف على المدنيين

وبسيطرة الهيئة على إدلب يقع المحظور الذي حذرت منه عدة جهات كان أخرها حركة أحرار الشام بتحويل إدلب إلى رقة ثانية وإعطاء المبرر لضربها من قبل التحالف الدولي وعلى رأسهم روسيا، إذ قام طيران الاستطلاع التابع للتحالف الدولي بالتحليق في سماء محافظة إدلب، بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على مدينة إدلب بساعات، في مقدمة لرصد أهداف من المحتمل أن يتم قصفها.

كما ساهمت مجموعة من التصرفات المتعاقبة إلى ترسيخ الصورة المجرمة للتنظيم وإطلاق يد كل من روسيا والنظام السوري في قصف المدن بحجة تواجد التنظيم فيها، ومن بين تلك الحوادث:

- اختطفت جبهة النصرة ٤٥ عنصرًا من قوات حفظ السلام على الحدود السورية مع هضبة الجولان، في آب ٢٠١٤، والذين أفرج عنهم في أيلول من العام نفسه.
- قطع رأس كاهن مسيحي سوري يدعى فرنسوا مراد في إحدى كنائس سوريا في حزيران ٢٠١٣.
- اختطفت جبهة النصرة ١٣ راهبة من الدير المسيحي في معلولا واحتجزتهم في بلدة يبرود في كانون الأول ٢٠١٣ حتى ٢٠١٤.
- في حزيران ٢٠١٥ اعدمت جبهة النصرة ٢٠ درزيا في محافظة إدلب في محاولة للفت الانتباه.
- كما أعلنت جبهة النصرة مسؤوليتها عن قتل ١٣ رجلا في مقبرة جماعية تم العثور عليها شرق دير الزور.

التضييق على النشطاء وطمس الهوية المدنية للثورة السورية

عملت جبهة النصرة منذ بداية سيطرتها على محافظة إدلب إلى اعتقال وخطف وقتل النشطاء المدنيين، مكيلة لهم التهم بالعمالة والتخابر والألحاد وغيرها، وكما فعلت مع الفصائل المسلحة فقد قامت بإفراغ المناطق المحررة من أي مظهر مدني للثورة، وصار من الصعب القيام بأعمال بسيطة كانت في بداية الثورة أبرز مظاهرها.

وفي الوقت الذي خنقت فيه العمل المدني زادت من مظاهر التطرف والتشدد، ومن أبرزها نشر عبارات فجة مناقضة لأهداف الثورة بتكفير العلمانية والانتخاب وغيرها، كما حاولت نشر قوانين غريبة عن المجتمع السوري تلزم النساء والطالبات بعادات لم يألفوها.

وفي تموز ٢٠١٦ شن ناشطون حملة انتقاد لجبهة النصرة، بعد دعوة الأخيرة إلى محاربة ما وصفتها بـ"المشاريع المشبوهة"، والتي قال الناشطون إنها تطال فصائل الجيش الحر، التي توجد على قائمة الإزالة التي نفذت منها جبهة النصرة حتى اليوم ١٤ فصيلاً.

واجهت الهيئة مُقاومة شديدة من المدنيين والثوار، وتظاهرَ السوريون عشرات المرات ضدها تحت شعار "لا يوجد مكان لتنظيم القاعدة في سوريا" وشهدت بلدات الأتارب وإعزاز ومعرة النعمان وسراقب وإدلب المدينة وخان شيخون وكفرنبل وحاس وغيرها، احتجاجات على تدخل الهيئة في الشؤون المدنية لتلك المدن، قابلتها النصرة بحظر تلك الاحتجاجات ونظمت احتجاجات موالية لها رُفعت فيها صور زعيمها أبو جابر الشيخ.

في آذار ٢٠١٧ دعمَ السكان المحليون في محافظة إدلب الجيش السوري الحر وطالبوه بتفادي التعاون مع هيئة تحرير الشام لأنّ التحالفَ معها يُضر أكثر مما ينفع مؤكدين على أنّ جُلّ ما قامت به الهيئة هوَ خطف الناس وإنشاء نقاط تفتيش وترويع السكان.

قبضت هيئة تحرير الشام على الناشط المعارض والقائد في الجيش السوري الحر عبد الباسط الساروت بعد اتهامه بالمشاركة في احتجاجات ضد الهيئة في معرة النعمان.

وفي آذار ٢٠١٦ تعرضت مظاهرة في معرة النعمان للقمع من قبل عناصر جبهة النصرة إضافةً لمنع المتظاهرين من حمل علم الثورة في مدينة إدلب، وحذرت اللجنة الأمنية التابعة للنصرة من رفع أعلام الثورة السورية في المظاهرات.

كما مارست سياسة صبغ المظاهرات بإغراقها بالأعلام السوداء عبر دخول مناصريها بين المتظاهرين، ما أفشل تلك المظاهرات وتخلي الأهالي عنها.

واتهم ناشطون هيئة تحرير الشام بمسؤوليتها عن إنزال علم الثورة من أعلى السارية في مدخل مدينة بنش الغربي، كذلك قامت بإنزال علم الثورة من أعلى عمود الإذاعة في مدينة سراقب في كانون الثاني عام ٢٠١٧ والذي يعد من أكبر الأعلام اذ يبلغ طوله ١١ مترا وبعرض خمسة أمتار.

وفي محاولة لإحصاء عدد الناشطين الذين اعتقلوا أو مازالوا في سجون النصرة ولا سيما سجن العقاب سيء السمعة والمسؤول عن قتل العشرات من النشطاء والمدنيين، ستجد أن مئات الناشطين اعتقلتهم الهيئة أو أطراف محسوبة عليها، ناهيك عن الذين ما زالوا قيد الاحتجاز حتى اللحظة، أو الذين استشهدوا تحت التعذيب في سجونها، أو من طالتهم أيديها دون الحاجة للاعتقال.

في استطلاع رأي أجراه مركز البحوث في جامعة لورانس شمل ما يقارب ٥ ألاف سوري عام ٢٠١٧ أظهر الاستطلاع أن ٧٧٪ من الذين شملهم الاستطلاع لا يتفقونَ مع فكر هيئة تحرير الشام وغيرها من الجماعات السلفية في إدلب كما رفضَ ٧٣٪ منهم إشراف هذه الجماعة على المجالس المحلية في إدلب فيما وافقَ ٦٦٪ منهم على أنّ الهيئة هي جزء من تنظيم القاعدة في سوريا أمّا ٦٣٪ منهم يرونَ أن هيمنة الهيئة في إدلب سوف يؤدي إلى معركة تورا بورا لا مُحالة.

عزوف المجتمع الدولي عن دعم الثورة السورية

أسفرت الاعتداءات التي شنتها جبهة النصرة على فصائل الجيش الحر وسلب أسلحتها المقدمة من الدول الغربية، إلى عزوف المجتمع الدولي عن تقديم الدعم العسكري الجدي للفصائل المتبقية وإطلاق يد روسيا في قصف المناطق المحررة بحجة محاربة جبهة النصرة.

وفي مقال بموقع هافينغتون بوست جاء فيه: "إنّ فك ارتباط جبهة النصرة بتنظيم القاعدة سيُفيدُ الثورة لكنّ جبهة النصرة ستكون دائما في حاجة ماسة إلى اسم القاعدة للحفاظ على المقاتلين الأجانب في صفوفها فهؤلاء لن يقبلوا القتال والموت من أجل مشروع وطني إسلامي".

وفي تموز ٢٠١٦ قالت الإدارة الأمريكية، في بيان لها، إن الرئيسين الأمريكي والروسي أثناء تطرقهما إلى الملف السوري، أكدا استعداد روسيا والولايات المتحدة لمواجهة تنظيمي "داعش" و"جبهة النصرة" معاً.

وكان مجلس الأمن الدولي أدرج جبهة النصرة على قوائم الإرهاب بسبب ارتباطها المباشر بـ "تنظيم القاعدة"، كما فرض مجلس الأمن عام ٢٠١٣ عقوبات على جبهة النصرة بتجميد أموالها على الصعيد الدولي وفرض حظر على إمدادها بالأسلحة.

في ٢٠١٧ أوقف مسلحو الهيئة شاحنات تحملُ الطحين تابعة لهيئة الإغاثة الإنسانية عند نقطة تفتيش في مدخل سرمدا، وكانت الشاحنات تتجهُ نحو مخبز في سراقب لكنّ استيلاء عناصر الهيئة عليها تسبب في قطع المعونة وبالتحديد الخبز عن ٢٠٠٠ أسرة في المِنطقة.

نشطاء قتلتهم النصرة

اثنان من أبرز ناشطي مدينة كفرنبل "رائد الفارس وحمود جنيد" قتلا على يد ملثمين في منطقة خاضعة للنصرة، بعد أن اعتقلتهم سابقاً ووجهت لهم العديد من التهم، وتلقوا منها التهديدات بشكل متكرر.

كما سبق وأعدم العقيد "تيسير السماحي" القيادي البارز في "جيش إدلب الحر" وقائد "الشرطة الحرة" في مدينة معرة النعمان بعد اعتقاله عقب اقتحامها للمدينة.

وأيضا أعدمت جبهة النصرة الإعلامي وليد القاسم مع اثنان من رفاقه بعد اعتقالهم في مدينة حريتان، وأعدمت الناشط وثاب عزو في بعد اعتقاله على حاجز على طريق باب الهوى، كما أعدمت النصرة الشاب "محمد عبد الستار عبيد" ٢١ عاماً من سراقب، و"أبو علي جبالة" القيادي في كتيبة مغاوير حماة، وقتلت القيادي السابق في الجيش الحر "سمير الأحمد" في بلدة حفسرجة بريف إدلب، كما أعدمت قائد لواء عاصفة الحزم في الفرقة ١٠١ التابعة للجيش السوري الحر "أسامة يوسف الخضر" من بلدة كورين، بعد اعتقاله لمدة تزيد عن العام، وعشرات من النشطاء والثوريين الأخرين.

باعترافهم: المتسولون في تركيا ليسوا من السوريين

تعمل "هزار الفندي" ممرضة في مركز صحي مرخّص خاص بالسوريين في إسطنبول، كونها لاجئة سورية حاصلة على "كيملك" الولاية ما يجعلها خارج حملة الترحيل الأخيرة وإرهاصاتها، لكنها تبدي انزعاجها الشديد من ظاهرة التسوّل المنتشرة في معظم مرافق إسطنبول، قائلة: "أضطر إلى ركوب (المترو بوس) يومياً للتوجّه إلى مقر عملي. وبدون مبالغة، أتعرّض يومياً، إما بالذهاب أو الإياب أو بالحالتين أحياناً، لمضايقات (شلّة الشحادين) الواقفين عند المحطة وغالباً ما يتكونون من ٣-٤ أطفال من الجنسين".

تحرير زيتون

تتابع "يطلب أحدهم النقود باللغة التركية بدايةً، وبمجرد أن أطلب منه الانصراف، بلهجتي السورية، حتى يتجمع حولي البقية ويخاطبوني باللغة العربية، وغالباً ما يشدوني من ذراعي أو ثيابي متقصدين إحراجي أمام المارة".

ولدى سؤالنا عن ردة فعلها أجابت "كنت أحرج في بداية الأمر فأعطيهم النقود، لكني صرت أهملهم أو أهددهم بطلب عناصر أمن المحطة، باللغة التركية".

تنتشر ظاهرة التسوّل في تركيا، بطبيعة الحال، منذ ما قبل تدفّق اللاجئين السوريين وتوزعهم داخل الولايات التركية، إلا أنها -الظاهرة- زادت بشكل ملحوظ بعد تضاعف أعداد اللاجئين، لا سيما في ولاية إسطنبول، العاصمة التجارية والسياحية وذات الكثافة السكانية الأعلى في تركيا.

ولم تساهم زيادة أعداد المتسولين في إثارة امتعاض الأتراك وتذمّرهم فحسب بل أثارت استهجان غالبية السوريين المقيمين داخل الولاية، نتيجة ممارسة الأساليب المستفزّة من قبل المتسولين بغية حصولهم على النقود.

يؤكّد تلك الحالة "سالم الخطيب" وهو أحد اللاجئين السورين أيضاً، فيقول: "المشكلة أن غالبيتهم لم يعد ينفع معهم التهديد بشرطة المحطة، بل ويردّوا عليك بالقول (لسنا خائفين.. اذهب ونادِهم!).. إلا أن أكثر ما يضايقني على الدوام هو صعودهم إلى الحافلة وقيامهم بمضايقة الركاب بصورة مقصودة حين يلتصقون بهم، بثيابهم المتّسخة ورائحتهم السيئة، ويستلقون بجانب أقدام الركاب، فيضطر الأخيرون لدفع النقود والتخلّص منهم".

ولا تقتصر أماكن التسوّل على محطات (المترو بوس) والحافلات في إسطنبول، والتي غالباً ما ينتشر فيها أطفال تحت سن ١٢ عاماً، إذ يصعب على الركاب وأفراد أمن المحطة زجرهم أو التعامل معهم بقسوة نظراً لصغر سنّهم. بل ينتشر المتسولون، من الجنسين، ومن كافة الأعمار، في الأسواق المكتظة كشارع "فوزي باشا" و"أكدينيز" وساحة "أكسراي" و"طلعة الأمنيات" و"فندق زادة" وجميع هذه الأماكن تتبع لمنطقة "الفاتح" في قلب إسطنبول وهي المنطقة الأكثر حيوية وانتشاراً للسياح، العرب منهم خاصةً.

وغالباً ما ينشطون بالقرب من المطاعم والمقاهي المنتشرة في تلك الأسواق مسببين إحراجاً لأصحابها وانزعاجاً للزبائن.

أحد أصحاب تلك المطاعم، التركي "كهرمان رِزا أوغلو"، يشكو أيضاً من متسولتين يتراوح عمرهما بين ٥٠-٥٥ عاماً، لا تنفكّان عن الجلوس عند باب مطعمه الواقع في "فندق زادة" أغلب ساعات النهار، وتستهدفان زبائنه من العرب والأتراك على حدّ سواء.

يقول كهرمان: "منذ عامٍ تقريباً كنت أرسل يومياً مع أحد عمّال المطعم ما يتيسر من طعام وبعض النقود لهما، وكانتا تنصرفان. وبقيتُ على هذه الحال لأكثر من شهرين حتى صارتا ترفضان الطعام وتطلبان النقود فقط! فنصحني أحد الأصدقاء بالتوقف عن ذلك وستنصرفان تلقائياً. ولكنهما ما تزالان تجلسان مقابل الباب كما ترون!".

ولدى سؤالنا له عن أصلهما أجاب بعدم معرفته، لكنه أضاف بأنهما تتحدثان التركية والعربية بشكل جيد وتقولان بأنهما (سوريَلي)، أي من سوريا باللغة التركية.

بعد الانتهاء من الحديث مع صاحب المطعم، تظاهرنا بأننا من الزبائن فخرجنا من الباب متجهين نحوهما. ناولنا إحداهما ٥ ليرات تركية وبادرناها بالسؤال بالعربية: "من أين أنتِ؟". فأجابت "من سوريا.. من حلب". سألتها أيضاً "من أي منطقة في حلب؟"، فصمتت ونظرت نحو رفيقتها التي ردّت بتلكؤ واضح "من شمال حلب". ولدى سؤالنا لها عن اسم المنطقة في شمال حلب صاحت الأولى بغضب "مو شغلك!"، رجعنا فوراً إلى الخلف أما هي فشدّت ذراع رفيقتها وانطلقتا تسيران بسرعة.

في نفس الشارع، وعلى مسافة لا تتجاوز ٢٠٠ متر، دخلنا مطعماً يقدّم مأكولات سورية. أكّد لنا صاحبه، الشاب "تميم عبد الصمد"، بأن غالبية المتسولين يدّعون بانهم ينحدرون من سوريا، لكنهم لا يقولون الحقيقة.

وروى لنا ما حصل معه ذات مرة حين حاولت إحدى المتسولات سرقة جهاز (موبايل) من أحد الزبائن.

فحين تم الإمساك بها وإخبار الشرطة، تبيّن بأنها تنحدر من سكان يقطنون في جنوب شرق تركيا، ويطلق عليهم مسمى (شِنكل)، أما نحن فنطلق عليهم في سوريا مسمى (النوّر) أو (القرباط)، وكذلك في لبنان والعراق وفلسطين ومعظم الدول العربية المحيطة. والمعروف عن "الشنكل" داخل الأوساط التركية، كما في مناطقنا، بأنهم يمتهنون التسوّل.

ويضيف "عبد الصمد": "السبب الذي جعلنا نصدّق في البداية بأنها من سوريا، قبل سرقتها للهاتف، كان جواز السفر الذي تحمله معها دائماً وتعرضه على الزبائن والمارّة مدّعية بأنها سورية، وتبيّن بعد التحقيق بأنه مسروق وتم إلصاق صورتها عليه بشكل احترافي".

لدى متابعتنا لمصدر هؤلاء المتسولين وأنشطتهم، تبيّن بأن جزءاً منهم قدموا بالفعل من مناطق متفرقة من سوريا (وعادة ما يسكنون عند أطراف المدن في خيام أو بيوت صفيح) دون أن يختلطوا بأهالي القرى أو قبائل البدو أو أبناء المدن، وغالباً ما كانوا ينشطون خلال شهر رمضان والأعياد الدينية. تسلّل قسم كبير منهم إلى تركيا متخفّين بين المهجّرين السوريين بعد تراجع مهنتهم نتيجة الدمار وخلو غالبية المدن والقرى من أهلها.

وازداد نشاطهم داخل المدن التركية الكبرى بالتزامن مع توجّه أقرانهم المتواجدين داخل الأراضي التركية، وجزء من الأخيرين يتقن اللهجات السورية الشمالية نتيجة انتشارها في معظم المناطق الحدودية الجنوبية لتركيا. فاستغلوا سوء حالة المهجرين السوريين جراء الحرب وراحوا يتسولون بحجّة فقدانهم لأملاكهم وأراضيهم في الداخل السوري، وتمكّن قسم كبير منهم من الحصول على "الكيملك" من دوائر الهجرة دون تقديم أي إثبات، بحجة أن أوراقهم الثبوتية قد احترقت بفعل القصف.

وكانت شخصيات حكومية تركية قد صرّحت في مناسبات عديدة بأن النسبة العظمى من المتسولين المنتشرين في إسطنبول وباقي المدن التركية هم من الأتراك.

ففي مقابلة أجرتها صحيفة "حرييت" التركية مع والي إسطنبول السابق "واصب شاهين"، في منتصف مايو/أيار ٢٠١٨، قال فيها: "هناك مشكلة في الحديث عن السوريين في المدينة على أنهم متسولين، وفي الحقيقة رأينا لاحقًا أن جميعهم من الأتراك".

أما وزير الداخلية "سليمان صويلو" فقد أكّد وجود "جهات تتعمد تشويه صورة سياسات الحكومة التركية المتبعة بالتعامل مع اللاجئين السوريين" معتبرة أن السوريين متسولين، إلا أن الحقيقة بخلاف ذلك "فمن بين كل ١٠٠ متسول يتم ضبطه ربما تجد واحداً سورياً من بينهم".

ومؤخراً، بعد شنّ حملة الترحيل ضد السوريين المخالفين، ممّن لا يحملون كيملك أو المسجلين في ولايات غير إسطنبول، وتعرضهم للتحقيق قبل إجراءات النقل أو الترحيل، فمن المستحيل أن تجد اليوم متسولاً ينطق باللغة العربية أو يدّعي بأنه سوري كما كان يفعل فيما مضى، خوفاً من الترحيل!.

حلم من خشب.. أطفال سوريا المبتورين

لم يكن توقف الأم عن إرسال "سعد" للمدرسة كافيا لحمايته، إذ أن صوت انفجار صاروخ قريب من منزلها أنبأها أن طفلها قد أصيب.. في الشارع القريب كان الطفل يزحف محاولا الوصول إلى بيته وقد علقت به بعض أجزاء قدمه.

كان أول الواصلين إليه شقيقه الأكبر، وبينما تم نقله بسيارة الإسعاف إلى المستشفى كانت الأم المفجوعة تركض خلفهم.

غادة باكير

صوت سعد القوي كان يعلو داخل المستشفى وهو يرتل بعضا من آيات كان قد حفظها وسمع أنها تساعد في تسكين أوجاعه، ولكن مع وصول أمه انهار حاجز القوة وبدأ بالبكاء وهو ينطق الشهادتين ظناً منه أنها النهاية.

"سعد الدين" له من العمر عشر سنوات يعيش في بلدة "أورم الجوز" بريف مدينة أريحا بجبل الزاوية، تسببت إصابته بشظية صاروخ من طائرة حربية بفقد قدمه اليسرى.

قرر الأطباء ضرورة بتر قدمه، وبعد مضي أسبوع أخبرت الأم ابنها عن بتر قدمه التي كان يقفز ويركل بها، معللة ذلك بالتخفيف من ألمه وقد سبقته إلى الجنة، لكن الطفل الذي بدا غير مستوعب ظل صامتا.

بعد التئام الجرح انتقل سعد للعلاج الفيزيائي الذي استمر لمدة خمسة أشهر، أفاق خلالها على واقعه الجديد، وأن حقيقة بتر قدمه ليست كابوسا سينتهي كما كان يظن، فاعتزل بباقي جسده عن الاختلاط بالأطفال ورفض العلاج أو مقابلة أي من الزوار، ولكن مع إصرار والدته على العلاج قبل بشرط أن لا يشاهده أحد.

يعتبر الحصول على طرف صناعي للأطفال المبتورين حلما قد يعيد إليهم جزءا من الحياة التي سلبت منهم، لكن تكلفة الحصول عليه دون مساعدة من المنظمات الإنسانية أمر مكلف، وتتراوح تكلفة الطرف ما بين الـ ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ دولار، فيما يصل سعر الطرف الصناعي الذكي إلى ما يتجاوز ٥٠ ألف دولار، هذا فضلا عن تكلفة العلاج الفيزيائي الطويل، هذا ما دفع ببعض المراكز إلى التوجه نحو صناعة الأطراف الصناعية بشكل محلي، وهو ما يقوم به مركز "الخطوات السعيدة" في شمالي سورية.

يقول مدير المركز الطبيب "مصطفى النجار" إن ١٣ حالة يتم فيها تركيب أطراف في الشهر الواحد، وهو ما يجعل مجموع عمل المركز خلال ست سنوات منذ إنشائه في عام ٢٠١٤ وحتى الأن هو ما يقارب ٩٠٠ حالة.

ويضيف النجار: "يتم التوجه حاليا إلى تركيب وتصنيع الأطراف بشكل محلي من قبل العاملين في المركز، الإنتاج والتركيب المحلي للأطراف من قبل اختصاصيين محليين ساهم في توفير بديل بتكلفة أرخص من الأطراف المقدمة من قبل المنظمات الدولية، كما أنها ضمانة لاستمرار انتاجها في حال توقف الدعم الانساني، لذلك نقوم حالياً بتصنيع أقدام كربون ومفاصل هيدروليك وتقدم مجاناً".

يضم المركز فريقا من المختصين بالدعم النفسي والعلاج الفيزيائي، سعيا منه لتغطية حاجة المصاب قبل وبعد تركيب الطرف ومتابعة حالته الجسدية والنفسية.

وفي حقيقة صادمة صرح عنها رئيس رابطة الأطباء الدوليين، الدكتور "مولود يورت سَفَن"، في كلمة له بإسطنبول قال فيها إن نسب إصابات الساق وبتر الأذرع بسوريا هي الأكبر في العالم منذ الحرب العالمية الثانية.

مشيرا إلى أن ما تشهده سوريا هو أكبر أزمة ودمار منذ الحرب العالمية الثانية، مضيفا أن "هذه المنطقة لن تقوم لها قائمة مرة أخرى"، وقال: "نواجه في سوريا أكبر أزمة إصابات في الساق، وبتر أذرع بالعالم منذ الحرب العالمية الثانية".

المرشدة الاجتماعية "كوثر الحاج عيسى" العاملة في إحدى المنظمات الإنسانية قالت لزيتون: "تصلنا الكثير من الحالات لأطفال بمختلف الأعمار نقوم بتوجيههم للمراكز المختصة بتقديم الدعم النفسي".

وترى المرشدة أنه من الضروري معالجة الطفل المصاب نفسيا بعد شفائه من الإصابة الجسدية لمساعدته على التأقلم مع إصابته، وهي مهمة ليست بالسهلة في الحالة السورية التي تستمر فيها أسباب الإصابة ما يزيد من صعوبة الشفاء النفسي ويعرقل جهود العلاج.

ومع عودة الألم مرة أخرى خضع سعد لعملية جديدة تم خلالها إزالة جزء من العظم، وبعد تركيب طرف اصطناعي وتدريبه على المشي عليه، فشلت محاولته في المشي بسبب عدم تناسبها مع قدمه، ما زاد بتردي وضعه النفسي والصحي.

تتعرض مدينة أريحا وما حولها للقصف الجوي الدائم وهو ما يسبب حالة من الخوف والفزع ترافق سعد من كل صوت يشبه صوت الطائرات، كما أنه يخشى من نظرة المجتمع له كونه معاق، ما دفعه للانزواء في منزله مكتفيا بهاتفه دون أن يكون لديه رغبة بالمشاركة في أي نشاط، رافضاً الذهاب مع والدته للخبير النفسي، خصوصاً انه سيخضع قريباً لعملية جديدة لـ "حقن العصب".

وبسبب هذه العمليات يتوجه الطفل معاتباً والدته أنها لم تصدق القول حين أخبرته أن قدمه بترت لكي لا تسبب له الآلام، ومع إغلاق المراكز الصحية في المنطقة بسبب القصف أو نقص المواد الطبية أصبحت العملية مكلفة مادياً ولا يمكن تأمينها أو تأمين طرف اصطناعي يناسبه.

تعرضت أم سعد لانزلاق بفقرات العمود الفقري، وهي اليوم تجد صعوبة بالتعامل مع طفلها، محاولة تشجيعه بشكل دائم حتى يكمل حياته برضى، عكس والده الذي تسلل إلى نفسه اليأس والإحباط من الوضع الذي وصل إليه طفله.

تقدم المنظمات والمراكز المختصة مجموعة من النشاطات والمهارات هدفها بالدرجة الأولى تعزيز الثقة بالنفس والتعايش مع الوضع الجسدي الجديد، كما تستعين بأطباء نفسيين في حالات الكآبة الشديدة بحسب المرشدة الاجتماعية "كوثر الحاج عيسى".

كما تحذر "العيسى" من قابلية الأطفال الذين تعرضوا لعنف مفرط أو حالات بتر للانتكاس بسرعة، رغم ما يبدو عليهم من تعافي جسدي ونفسي، وهو ما يستلزم بحسب رأيها استمرار الرعاية والدعم، مشيرة إلى دور الأهل الأساسي في شفاء طفلهم، معتبرة أن تقبل الأهل لوضع طفلهم هو الأهم كي لا يكونوا سببا من أسباب تدهور حالة الأطفال المصابين.

الأرصفة العالية

”لقد أوصيتها أن تذهب من الطريق الفرعي حتى لا يراها القناصة المنتشرين في مبنى الإذاعة، لكنها خالفت كلامي هذه المرة، وذهبت من الطريق الرئيسي، وفور وصولها للشارع ورؤية القناص لها، قام بقنصها بطلقة في ظهرها”.

وضحة العثمان

ليس هذا مقطعا من قصة ليلى والذئب رغم تشابه الأطراف والأحداث، بل هو حديث أم عاشت تجربة رؤية طفلتها وهي مرمية تصارع الموت جراء رصاصة قناص دون أن يجرأ أحد على انقاذها.

قبيل آذان المغرب بلحظات كانت تخطو خطواتها الأخيرة باتجاه الشارع الرئيسي، للحصول على كعكة رمضان الشهيرة في بلدتها، لم يخطر على بالها وهي الطفلة الصغيرة ذات الأربع سنوات أنها ستكون هدفاً للقناصة المتواجدين في مبنى الإذاعة، والتي تتمركز فيها قوات الجيش السوري.

ديانا الطفلة الوحيدة لشقيقين هي ككل الأطفال ما أن يسمعوا صوت بائع الكعك حتى يسرعون للحاق به وكأنه عازف المزمار، سمعت صوت البائع وأرادت الحصول على كعكتها، شددت عليها الأم بالذهاب في طريق فرعي يفضي إلى بيت جدها.

كان يوماً قاسيا بحسب ما روته الوالدة: ”ما زلت أذكره بتفاصيله المرعبة، في رمضان من عام ٢٠١٢، كان قناص الإذاعة يتمركز على بعد لا يتجاوز ٢٠٠ متر، فلا مجال للشك في أنه كان يستهدف بشكل مقصود طفلة في الرابعة من عمرها، لقد أردى الكثيرين من المارة حتى تحاشى الناس المرور في الطرقات، وبرغم هذا كنا نستبعد أن يستهدف طفلة بهذا العمر”.

يقع مبنى الإذاعة في الحي الغربي من مدينة سراقب، وسط حرش من أشجار السرو والصنوبر، سمي بهذا الاسم لكونه يضم مركز أجهزة الراديو التابعة لعمود الإذاعة في البلدة، وهو أحد معالمها التي اشتهرت به، تجاوره منازل المدنيين ويمر بمحاذاته الطريق إلى فرن الخبز، ما تسبب في سقوط الكثيرين صرعى في سبيل حصولهم على لقمة الخبز بما للكلمة من معنى. بعد سقوط الطفلة على الأرض غارقة في دمائها، لم تجد محاولات الرجال المتواجدين في مكان الحادث بسحبها إلى مكان آمن، إذ كان القناص بارعا في إصابة أي شيء يتحرك باتجاه الطفلة أو يحاول الاقتراب منها.

ما يقارب الثلاثون دقيقة كل دقيقة منها كانت تهدد بموت الطفلة، لتندفع امرأة خمسينية من أهالي الحي باتجاه ديانا مغامرة بحياتها في سبيل إنقاذه الصغيرة، حملتها بخفة راكضة باتجاه مكان آمن، ليتم إسعافها إلى المشفى.

تقول أم عبيدة الجارة التي أنقذت ديانا لزيتون: ”أخبرني ولدي أن طفلة أصابها القناص ولم يستطع أحد أن يقترب منها بسبب استهداف القناص لهم، لكن حين رأيتها تتخبط كحمامة مذبوحة، لم أتمالك نفسي ولم أفكر بأي شيء، هرعت إليها وحملتها ليسعفوها بعدها بسرعة”.

وتضيف أم عبيدة: ”بلا شعور ركضت باتجاهها، واستهدفني القناص بطلقتين لم يصيباني، كنت مستعدة للموت كي انقذها، وما زلت حتى اليوم يعتصرني الألم كلما تذكرت ذلك المشهد”.

وفي سباق حقيقي مع الموت سارعت مجموعة من الأطباء لإجراء العمل الجراحي اللازم لها، لتخرج من غرفة العمليات وقد نجت من موت محقق، لكن بإعاقة كاملة وشلل كلي في الأطراف السفلية.

وفي شهادته عن حالتها قال الطبيب ”عبد الإله سطوف” الذي أشرف على علاجها لزيتون: ”وصلت إلى مشفى الحسن قبل الإفطار بقليل بإصابة في صدرها، قمنا بتفجير صدر لها من اليمين واليسار، وكانت بحالة عامة سيئة”.

ويضيف الطبيب: ”بعد استقرار حالتها ولعدم وجود جهاز تصوير طبقي محوري في المدينة اكتشفنا أنها أصيبت بشلل سفلي لها، فقد تسببت الطلقة بقطع النخاع الشوكي لها”، وينهي الطبيب حديثه بالقول ”لا اعتقد أنها ستستطيع المشي مرة أخرى”.

وأكدت الشبكة السورية لحقوق الإنسان في تقرير لها عام ٢٠١٩ أن ضحايا الحرب من الأطفال منذ آذار ٢٠١١، وحتى عام ٢٠١٩ قد بلغت ٢٢٤٨٦ طفلا موثقون بالاسم.

فيما أعلنت منظمة الصحة العالمية أن نحو ٣ ملايين شخص أصيبوا نتيجة الحرب في سوريا، بينهم ١,٥ مليون يعيشون بعاهات مستديمة داخل البلاد، منهم ٨٦ ألف شخص أفضت إصاباتهم إلى بتر أطرافهم، مشيرة إلى إن ثلث ضحايا الأسلحة المتفجرة من الأطفال.

في شارع مغبر ما زال يفضي إلى فرن الخبز في الحي الغربي ومقابل مبنى كان في يوم من الأيام ثكنة عسكرية لقوات جيش النظام السوري، تم تحريره بعد عشرات الضحايا والشهداء، تجلس ديانا اليوم على كرسي مدولب أمام باب منزلها وقد بلغت الحادية عشرة عاما، تستذكر الألم والخيبة حين استفاقت من غيبوبتها وأدركت أنها لن تستطيع المشي مجددا، كما تتأمل بخوف بالغ واقعا يحلق فوقه الطيران ليل نهار، حتى بات يشكل لها كابوسا تهرب منه إلى غرفة صغيرة داخلية تلتجأ إليها كلما سمعت صوت الطائرات.

ما يعيشه الأطفال في كل العالم يصبح مستحيلا لدى ديانا، فالمدرسة بعيدة، والكرسي ذو العجلات لا يمكنه صعود الدرج والأرصفة، بحسب وصفها، لكنها تحاول أن تعوض ما يفوتها من دروس بما تقدمه شبكة الإنترنت من دروس القراءة والكتابة، وما ملكت من موهبة في تصفيف شعر الدمى وشعر شقيقتها الصغرى.

تتحدث ديانا بحماس عن حلمها في أن يكون لديها صالة تجميل، تمارس فيها هوايتها وتكرر جملتها ”أنا قادرة أن أعمل حتى لو كنت على كرسي مدولب”.

تبحث الطفلة الصغيرة دائماً عن عمل يشغلها في المنزل، فبعد أن أتقنت المشي زحفاً على يديها باتت تتحرك بخفة وسرعة، وتقول بفرح:

”أشعر أني قادرة على أي عمل يطلب مني، كما أني أهتم بشقيقتي الصغرى وألاعبها، وحين أشعر بالضجر أخرج إلى الحي، أنظر للأطفال يركضون حولي ويتسابقون، أشاركهم السباق أحيانا وأنا أتخيل أن الكرسي هو قدمي”.»<

يتراجع حماس جسدها النحيل وعيناها البريئة لتعبر عن عدم مسامحتها لذلك القناص، طالبة من الله أن يقتص منه، لقد حرمها من المشي والركض والوقوف، كما حرمها من التعلم والمدرسة والسير في الطرقات واللعب من الأقران، تقول بأنها ترى نفسها في الأحلام وهي تمشي، لكن حين تستيقظ تسقط في الحزن من جديد.

تتلعثم بالكلمات حين تدوي صفارة الإنذار، محذرة الناس من الطيران الحربي الذي يقتحم هدوء المساء، وترتبك نظراتها بين أمها وبيننا، لتزحف على يديها باتجاه غرفتها الصغيرة، وتنهي أمها مقابلتنا باعتذار مجروح.

زهرة تخرج من حجر.. من خيمة النزوح إلى كلية الطب

كان الطريق شاقاً ومؤلماً لكنها قطعته بعزيمة وإصرار متشبثة بالحلم ليتحول إلى حقيقة، لم يكن مستحيلاً لكن الظروف التي رافقت تحقيقه زادت من صعوبته، رغم ذلك نجحت بتحقيقه "فاطمة الحسن" الطالبة ذات الثمانية عشر ربيعاً والتي حملت حلمها بين طيات كتبها أثناء نزوحها من بلدة كفر عويد.

أولى مشاهد فلم نوت بوك - انترنت

فاطمة الحسن

كفر عويد بلدة صغيرة في ريف إدلب الجنوبي عانت وما تزال ككل بلدات الريف الجنوبي من همجية القصف السوري والروسي وتدمير منازلها ونزوح أغلبية سكانها إلى الريف الشمالي والشريط الحدودي المتخم بالمخيمات طلبا للأمان.

تقول فاطمة: "لم أستسلم.. في البداية كان القصف يتركز على أطراف القرية وكنا نهرب صباحاً إلى الكهوف وكروم الزيتون ونعود في المساء إلى بيتنا، لم أفارق كتابي الذي جعلت منه رفيقي في كل لحظة".

وتضيف فاطمة: "بقينا على هذه الحالة عشرون يوماً، ومع تزايد شدة القصف ووقوع مجازر مروعة، نزحنا إلى الحدود السورية الشمالية وأقمنا في مخيم "القلعة" بالقرب من سرمدا".

لا يحصل من يعيش في المخيمات على ظروف مناسبة للدراسة لا سيما في ظل تواجد الأطفال، وعاشت الفتاة مع عائلتها في خيمة واحدة مع إخوتها الصغار بضجيجهم ولعبهم، وهو ما كان يشكل عائقا لدراستها، الغبار وارتفاع الحرارة خارج الخيمة وانعدام الكهرباء ليلا كل ذلك لم يمنعها من مواصلة الدراسة.

تمكنت فاطمة من الحصول على المجموع التام في امتحانات الشهادة الثانوية للفرع العلمي لعام ٢٠١٩، حيث حصلت على ٢٤٠ درجة لتصل إلى مقاعد كلية الطب.

يتحدث والدها بفخر عن تفوق ابنته، ويشير إلى ما يقدمه من تعليم مبكر لأطفاله والذي يبدأ به من سن الأربع سنوات في مبادئ القراءة والكتابة والحروف الإنكليزية، وهو ما يجعلهم مميزين عن أقرانهم.

ولوالدة فاطمة دور في هذا التفوق وهي التي كرست كل جهدها في سبيل تأمين الجو المناسب لدراستها، كما ترى أن فاطمة ليست الوحيدة المتميزة بين أخوتها، فشقيقتها الكبرى تدرس الطب البشري في جامعة إدلب.

أما الطالبة "ياسمين المحمد" والتي كانت رغبتها في التفوق نابعة من حلمها بأن تهدي تفوقها لروح والدها الشهيد الذي قتلته طائرات النظام السوري فقد تمكنت من التفوق في الشهادة الإعدادية وحصلت على مجموع ٢٧٨ من أصل ٢٨٠ درجة لهذا العام.

والدة ياسمين قالت لزيتون: "لمست عندها الرغبة في أن تكون من الأوائل وشجعتها على ذلك، وبسبب الظروف في المنطقة فقد كانت مع بعض رفيقاتها يتابعن دراستهن في منزلنا حيث يأتي الأساتذة ويقدمون لهن الدروس"، مضيفة: "تحملت تكاليف مادية مرهقة في سبيل أن تحقق ابنتي ما تريد".

الحالة الأمنية وتعرض المحافظة للقصف المستمر انعكس سلبا على سير العملية التربوية، وواجهت مديرية التربية الحرة صعوبات كبيرة وخاصة في العام الدراسي الفائت، فموجات النزوح الكبيرة تسببت في تغير أماكن إقامة الطلبة، وهو ما حاولت مديرية التربية التلاؤم معه من خلال افتتاح مراكز جديدة لاستقبال الطلاب النازحين.

معاون مدير التربية الأستاذ "محمد الحسين" أفاد لزيتون بإلحاق الطلاب النازحين بعد تحديد مكان إقامتهم بالمراكز القريبة منهم بعد رفع القدرة الاستيعابية للمراكز، إضافة إلى توفير مراكز جديدة لاستقبال الطلاب الوافدين من مناطق التهجير.

وأضاف الحسين: "وصلت نسبة النجاح في امتحانات الشهادة الثانوية في الفرع الأدبي للعام الماضي إلى ٤٤٪، والفرع العلمي ٦٩٪، وسيكون هناك منح دراسية إلى تركيا للطلاب الثلاثة الأوائل في كل فرع، كما يتم التواصل مع بعض الجهات لتأمين منح للطلاب المتفوقين".

وأشار مدير مكتب التربية في المجلس المحلي لمدينة سراقب "غسان شعبان" إلى ارتفاع عدد الطلاب بشكل ملحوظ هذا العام، ليصل عددهم ٢٥٩٥٠ طالب وطالبة، مما استدعى زيادة عدد المراكز الامتحانية.

وجاء في احصائية لفريق منسقو استجابة سوريا أنه تم استهداف ٩١ مدرسة في الشمال السوري المحرر وتراوحت نسب الأضرار ما بين ٥٪ وحتى الخروج عن الخدمة بشكل كامل، وذلك منذ بدء الحملة العسكرية في شهر شباط الماضي.

كما أوضح الفريق أن٣٤ مدرسة تم استهدافها في منطقة خان شيخون و١٣ مدرسة في كفر نبل و١٢ مدرسة في أريحا و٥ مدارس في جسر الشغور ومدرستين في معرة النعمان وأربع مدارس في إدلب، أما المدارس المستهدفة في ريف حماة فكانت ١٣ مدرسة في المجمع الغربي و٨ مدارس في المجمع الشرقي.

وترى "هالة حاج علي" إحدى المعلمات في ريف إدلب إن أسبابا عدة تقف خلف عرقلة سير العملية التعليمية منها عدم الاستقرار النفسي للطلاب، والنزوح المستمر ولأكثر من مرة، مع غياب الدعم الثابت للإدارة التربوية التي تقف عاجزة أمام مستلزمات العملية التعليمية، هذا فضلا عن القصف الذي يدمر المنطقة.

إن غياب التعليم عن جيل واحد من الأطفال يتسبب في إيجاد خلل مجتمعي مستقبلي، لما له من عواقب وخيمة وصعوبة تلافيه في المستقبل، وهذا الحال مستمر في مناطق الشمال السوري منذ ما يزيد عن الثماني سنوات، ولنا جميعا أن نتخيل ما سيكون عليه واقع الحياة حين ستكبر هذه الأجيال، إن لم يتم وقف الأسباب واستقرار المنطقة.

بعد رحلة النزوح القاسية من خان شيخون، لم يجلس محمد في منزله، انخرط في واجبه ليصبح متطوعا في الدفاع المدني، وخرج مع رفاقه لمساعدة المدنيين، وانتشالهم من تحت الركام، محمد في الصورة بعد يوم طويل وعمل شاق ,جلس يأخذ قسطاً من الراحة ,علّه يكمل مابدأه في اليوم التالي.
الدفاع المدني بإدلب

صباح

أحمد فرج

كان يحب الصباحات التي تأتي حبلى بالأمل، حين تكون الأشجار ما تزال نائمة يهدهدها بعض النسيم البارد، فيما تلتقط الطيور فطورها بسلام.
دأبت أم محمد على اللحاق به تاركة له بعض الوقت يقضيه هانئا بوحدته الصباحية، قبل أن تجدد قهوته لتشاركه فيها مرة أخرى، لكنها في ذلك الصباح تأخرت.

صوت عنين بعيد راح يصل مسامع أبو محمد وهو يرتشف قهوته، استنفرت أذناه مصيخة السمع، حاول أن يتأكد من هواجسه قبل أن يقض نوم أسرته، هو يعرف هذا الهدير، إنه صوت الرعب والموت والغبار.
دقائق كان الصوت يزداد وضوحا وأقصى اليقين كل أوهام الأمل بصباح هادئ، سارع إلى إيقاظهم فهذا الموت الطائش كالدابة العمياء يمكن أن تدوس الجميع.

نهر الأطفال الذين استيقظوا بعيونهم الناعسة ونظراتهم الحائرة مستشعرين خوفا لا يفهمونه، لكنهم يحسوه في صوت أبيهم الحاسم، بعضهم خرج يتبعه وهو يستشرف اتجاهها وهدفها، مستعينا بقبضته اللاسلكية وما تقدمه المراصد من معلومات قد تثمن وقد لا تثمن من جوع.

لم يملك أبو محمد سوى البكاء وهو يبحث تحت الركام عن زوجته وطلفه الصغير، بعد أن عاجلته الطائرة بحمولتها قبل أن يهرب بهم، وظل يبتهل -وهو يزيح الحجارة كالمجنون- إلى كل من يمكنه أن يعيدهم إليه كما كانوا قبل قليل أحياء، لكن رائحة الموت والغبار وصراخ من تبقى من أطفاله وجيرانه كان يزيد مما كان يخاف، الخوف والحب، الرعب والحنان، الموت والحياة، هي ثنائيات تحضر في عقل وقلب المكلومين حديثا، تنازعه أفكاره فيها وأشفاقه وحنانه على طفله.
لم يعد يحب الصباحات الهادئة، صار يخشاها، وكبر فاجعته على هولها ليست مميزة في تلك البلاد، إذ كان الناس يتناقلون الخبر كشيء مؤسف يحدث مجددا.

اعتاد أبو محمد العودة والجلوس على أنقاض بيته بين الحين والآخر، كان يجلس على تلك الحجارة التي بناها حجرا حجر، شاردا بمعنى ما يحدث، وما حدث، وما سوف يحدث، ساخرا من كل البديهيات التي كانت ايمانا لديه، محتقرا معنى الحياة وعبثيتها، وبرغم كل محاولاته بالتماسك من أجل أطفاله، إلا أنه كان يعاود السقوط في اليأس والانهزام.
ظل يتمنى عودتها مستعيدا صورتها في ليلة الزفاف، قادمة بين الشجيرات، تحمل قهوتها الطافحة بالحب، تذكر صلابتها بجانبه حين كان ينهار تحت ضغوط الحياة، كانت أكثر من زوجه ولطالما نادها بالرفيقة والصديقة، اعتاد وجودها كخل وفي، وكانت تبث في البيت ذلك الجو من الطمأنينة والحب، وها هي قد رحلت مقتولة تحت حجارة بيتها دون أن يتمكن من إنقاذها.
عرف أبو محمد بعد رحيلها معنى الأمومة، تعلم أن يفهم حاجات أطفاله محاولا سد الفراغ الذي تركته، أدرك متأخرا كم كانت تفكر فيهم حتى أمكنها تهيئة حاجاتهم قبل أن يطلبوها.
لم يستطع أن يتصالح مع فكرة موتها، وظل يلوك فكرة مكانها؟ ما الذي تفعله؟ هل تفكر فينا؟ هل تحس بشيء؟ أم أنه العدم؟

الصور لا ترجع الموتى، وكل ما أخرجه من بيته لا يمنحه السلام، عبثا يطيل النظر في وجهها الساكن في تلك التصاوير، غارقا في أفكاره وذكرياته، حالما بعالم أكثر منطقية وحياة أقل وحشية وصباحات غارقة بالهدوء والسلام.